روايات الهلال

ذات القبعة البيضاء

جورج سيمنون

REWAYAT AL-HILAL
No. 408 — December 1982

ذات القبعة البيضاء

بقلم

جورج سيمنون

ترجمة

محمد عبد المنعم جلال

دار الهلال

المؤلف

ولد جورج سيمنون فى مدينة لييج ببلجيكا فى ١٣ فبراير سنة ١٩٠٣ عن اب بلجيكى وام انجليزية ، وبدأ الكتابة فى السابعة عشرة وعمل محررا فى جريدة جازيت دى لييج . ومات ابوه قبل ان يبلغ العشرين فانتقل الى باريس ونشر رواياته الاولى بأسماء مستعارة مختلفة منها كريستيان برولز وجورج ريلى وجان دى بيرى وجورج سيم وغيرها . وكانت كلها روايات شعبية استعان بها على العيش قبل ان تعرف الشهرة سبيلها اليه . وكان فى أثناء ذلك يزور ادارة الامن الفرنسية بصفة مستمرة ويختلف الى جميع اقسامها واجهزتها ويدرس كل صغيرة وكبيرة ليعرف كيف تسير الامور فيها وكانت شخصية القوميسير ميجريه تدور برأسه حينذاك .

ولما نضجت الفكرة فى ذهنه بدأ بكتابة أول رواية من سلسلة روايات ميجريه بعنوان « مصرع مسيو جاليه » ونشرتها له دار فايار للنشر فى سنة ١٩٣٠ باسمه الحقيقى . ولقيت الرواية نجاحا كبيرا على الفور وترجمت الى عدة لغات ، وراح ينشر بعد ذلك رواية جديدة كل شهر حتى بلغت روايات ميجريه أربعين رواية .

وتعاقدت معه بعد ذلك دار بريس دى لاسيتيه على نشر رواياته، وأصدرت له نحو ستين رواية اخرى لميجريه ترجمت كلها الى أغلب لغات العالم .

وجورج سيمنون كاتب مبدع خلاق لم يطرق الرواية البوليسية فحسب وانما عالج جميع أنواع الادب فكتب الرواية الغرامية والفلسفية والتحليلية الى جانب روايات المغامرات والاثارة .

وقد انتقل الى أمريكا عقب هجوم المانيا على فرنسا فى الحرب العالمية الثانية وعاش فيها كما يعيش البدو ، فقد اشترى سيارة وضع كل متاعه واخذ يتنقل فى كل مكان فى امريكا تقريبا . وعندما

كان يروق له مكان كان يقضي فيه بعضا من الوقت . واقام بهذه الطريقة في مونتريال ونيويورك وفلوريدا واريزونا . وكلما توقف به المطاف في مكان ما كان يكتب ويكتب . ولم يحزنه في ذلك الوقت غير شيء واحد هو انه لم يكن يجد في أمريكا ناشرا واحدا لكي ينشر كتبه . وقد عاد الي فرنسا بحصيلة كبيرة منها ، وقد كتب حتى الآن اكثر من ثلاثمائة وخمسين رواية منها مائة لميجريه وحده .

وقد اخرجت السينما الامريكية العديد من أفلامه ، اقتبستها من رواياته منها « الاخوة ريكو » و « قاع الزجاجة » و « رجل برج ايفل » وهي الاخيرة من سلسلة روايات ميجريه وقد قام بدور القوميسير ميجريه فيها الممثل الامريكي الراحل تشارلز لوتون .

وقد تزوج سيمنون مرتين ، ماتت زوجته الاولى وانفصل عن الثانية ورفعت هذه الاخيرة قضية تطالبه بنفقة كبيرة ظلت المحاكم تنظرها مدة طويلة وفصلت فيها أخيرا لصالحه . وهو يعيش الآن مع امراة ايطالية تدعى تيريزا تعرف بها في احدى دور النشر الايطالية وتصغره بثلاثة وعشرين عاما فهي الآن في الثالثة والخمسين من عمرها .

وقد أنجب ستة أولاد اربعة منهم ذكور .

(١)

ذات القبعة البيضاء

فرغت مدام ميجريه من اعداد الدجاجة ووضعتها فى صينية ، ومعها جزرة جميلة حمراء وبصلة كبيرة وحزمة من البقدونس تجاوزت أوراقها حافة الصينية ، ثم أدخلتها الفرن . وبعد أن ضبطت درجة النار وجعلتها من الخفوت بحيث لا تنطفىء لاى سبب من الاسباب ، أغلقت جميع النوافذ فيما عدا نافذة النوم وهى تتساءل ان لم تكن نسيت شيئا ما . واخيرا ، وبعد أن ألقت نظرة فاحصة فى مرآتها غادرت مسكنها راضية ، وأغلقت الباب بالمفتاح ثم دسته فى حقيبة يدها .

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة من صباح أحد أيام شهر مارس ، وكان الطقس باردا والشمس متلألئة . ولو انها مشيت حتى ميدان الجمهورية لامكنها أن تستقل الحافلة حتى شارع باربيس ، ولبلغت ميدان دانفر فى الوقت المناسب لموعدها المضروب فى الحادية عشرة .

ولكنها بسبب السيدة الصغيرة ، هبطت السلم الى محطة ريشار لينوار ، على بعد خطوات من بيتها . وقطعت الطريق كله فى النفق وهى تنظر فى غموض الى الاعلانات المألوفة على جدران المحطات البيضاء .

كان ميجريه قد استخف بها بعض الشىء فقد كانت لديه مشاغل كثيرة منذ ثلاثة أسابيع ، وقال لها :

ـ هل أنت واثقة انه لا يوجد طبيب أسنان بارع على مقربة منا ؟

ولم يكن قد سبق لمدام ميجريه أن عالجت أسنانها قبل ذلك . ولكن مدام روبلان ، السيدة التى تقيم بالدور الرابع والتى لا تخرج

الا وبرفقتها كلبها اطنبت فى حديثها مرارا وتكرارا على الدكتور فلورسكو بحيث استقرت نيتها على ان تذهب لزيارته . وقد قالت لها مدام فلورسكو :

ـ ان له أصابع خفيفة ، ولن تشعرى بأى شىء وهو يعمل فى فمك . واذا قلت له انك آتية من طرفى فلن يتقاضى منك الا نصف ما يتقاضاه من أى شخص آخر .

وكان الطبيب رومانيا ، تقع عيادته فى الدور الثالث من عمارة بناصية شارعى تيرجو وترودين ، أمام ميدان دانفر . وكانت مدام ميجريه تذهب اليه فى ذلك اليوم للمرة السابعة أو الثامنة ، وكان موعدها فى الساعة الحادية عشرة دائما . وقد أصبح ذلك أمرا روتينيا بالنسبة لها .

وكانت قد بلغت العيادة فى اول مرة قبل الموعد بربع ساعة ، وذلك لخوفها الشديد من أن تصل متأخرة ، واضطرت ان تنتظر فى المرة الثانية . وفى كلتا المرتين لم تدخل حجرة الطبيب الا فى الساعة الحادية عشرة والربع .

ولكن فى زيارتها الثالثة كانت الشمس متلئلئة ، وكان الميدان الذى تقع العمارة فيه يعج بزقزقة العصافير بحيث عقدت النية على الجلوس فى مقعد مستطيل فى انتظار موعدها . وبهذه الطريقة تعرفت على السيدة ذات الطفل الصغير .

وأصبحت تلك عادة من عاداتها ، فكانت تتعمد الخروج مبكرة وتستقل المترو لاكتساب بعض الوقت .

كان يسرها أن ترى العشب الاخضر والبراعم الصغيرة التى تفتحت لتوها على أغصان بعض الاشجار التى تلقى ظلالها على جدران مدرسة الليسيه . ومن مقعدها كانت تتابع بعينيها حركة بوليفار روشيشوار والحافلات الخضراء والبيضاء التى كانت تبدو كما لو كانت دوابا كبيرة ، وسيارات الاجرة وهى تنطلق بعضها خلف البعض .

وكانت السيدة تجلس مكانها وهى ترتدى التاير الازرق الذى

رأته عليها من قبل . وفوق راسها قبعتها الصغيرة البيضاء التى تليق بها تماما . وترحزحت قليلا لكى تفسح لمدام ميجريه مكانا ، وكانت هذه الاخيرة قد جاءت معها بقالب من الشيكولاتة اعطته للطفل . وقالت السيدة تخاطبه :

ـ قل لها شكرا يا شارل .

كان يبلغ من العمر سنتين ، وكان الشيء المذهل فيه هو عيناه الواسعتان السوداوان ، واهدابه الطويلة التى تجعله يبدو كما لو كان بنتا صغيرة ، وقد تساءلت مدام ميجريه فى بادىء الامر اذا كان الطفل يعرف الكلام . واذا كانت المقاطع التى تخرج من بين شفتيه تنتمى الى لغة ما ، ثم أدركت ، من غير أن تجرؤ على الاستعلام عن جنسيتهما . ان السيدة والطفل اجنبيان .

وقالت مدام ميجريه : من رأيى ان شهر مارس أجمل شهور باريس ، على الرغم من أمطاره وبرده . هناك من يفضلون مايو أو يونية غير ان مارس يفوقهما نضارة وطراوة .

وكانت تتلفت ما بين لحظة واخرى لكى تنظر الى نوافذ الطبيب ، لانه كان فى مقدورها ، وهى فى مقعدها أن ترى رأس العميل الذى اعتاد الطبيب أن يعالجه قبلها ، وهو رجل فى الخمسين ، كان يخلع كل أسنانه .

وكان الصبى قد اتى معه هذا الصباح بدلو صغير وجاروف ، وراح يلعب بالحصى . وكان دائما نظيف ، حسن الهندام .

وتنهدت مدام ميجريه وقالت : اظن انه لم يعد امامى غير زيارة او زيارتين ، فقد قال لى الدكتور فلورسكو انه سيبدأ اليوم فى علاج ضرسى الأخير .

وكانت السيدة تستمع اليها وهى تبتسم . كانت تتكلم الفرنسية بطلاقة وبنغمة خفيفة تضفى عليها فتنة وسحرا . وفى الساعة الحادية عشرة الا سبع او ست دقائق كانت لا تزال تبتسم للطفل الذى بدت عليه الدهشة بسبب الغبار الذى تناثر على وجهه ثم

بدت فجأة كما لو كانت تنظر الى شيء ما فى شارع ترودين ، وظهر عليها التردد . ولم تلبث ان نهضت وهى تقول على عجل :

ـ هل لك ان تلاحظيه دقيقة واحدة ؟ .. سوف اعود حالا .

لم تندهش مدام ميجريه كثيرا ، ولكنها عندما تذكرت موعدها تمنت ان تعود الام فى الوقت المناسب ، وكانت من الرقة بحيث لم تلتفت لكى ترى أين تمضى .

ولم يلحظ الطفل شيئا ، فقد بقى قابعا مكانه يملأ دلوه بالحصى ثم يفرغه بعد ذلك لكى يعود فيملأه من جديد ، فى غير سأم أو ملل .

ولم يكن مع مدام ميجريه ساعة ، فان ساعتها كانت قد توقفت منذ سنوات ولم تفكر فى اصلاحها ابدا . وأقبل عجوز فجلس على المقعد ، ولم يكن هناك ريب فى أنه من الحى نفسه ، لانها كانت قد راته قبل ذلك .

وسألته : هل تتكرم فتذكر لى كم الساعة الآن يا سيدى ؟

والظاهر انه لم تكن معه ساعة هو الآخر لانه اكتفى بأن قال :

ـ الحادية عشرة تقريبا .

ولم تعد ترى راس المريض فى نافذة الطبيب ، فبدات تشعر بالقلق ، ودارت بعينيها فى الميدان ، ولكنها لم تر أى أثر للسيدة ذات القبعة البيضاء . هل وقع لها شيء فجأة ؟ وهل تراها رأت شخصا أرادت ان تتحدث معه ؟

واجتاز احد رجال الشرطة الميدان فنهضت لكى تسأله عن الوقت . كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة تماما .

ولم تعد السيدة ، وراحت الدقائق تمر . ورفع الطفل عينيه نحو المقعد ، ورأى ان امه غير موجودة ، ولكن لم يبد عليه أى قلق ..

لو تستطيع فقط ان تخطر الطبيب ؟ لم يكن عليها الا ان تجتاز الشارع وان تصعد ثلاثة ادوار . واوشكت ان تطلب بدورها من الرجل العجوز ان يلاحظ الطفل ريثما تمضى وتخطر الطبيب

فلورسكو ، ولكنها لم تجرؤ . وبقيت واقفة مكانها تنظر حولها فى قلق متزايد .

وعندما سألت عن الساعة للمرة الثانية ، كانت قد بلغت الحادية عشرة والثلث . وكان الرجل العجوز قد انصرف . ولم يعد هناك بالمقعد احد غيرها . ورات المريض الذى يسبقها يغادر العمارة ويتجه نحو شارع روشيشوار .

ماذا يجب ان تفعل ؟ .. هل حدث شىء للسيدة الشابة ؟ .. اذا كانت قد صدمتها سيارة لرات زحاما ولابصرت الناس يسرعون .. ولكن لعل الطفل يتملكه الذعر فجاة .

كان الموقف غريبا . وسوف يتهكم ميجريه بلا شك . ولكن الافضل الا تسر اليه بشىء من هذا الامر . ستتصل بعد قليل بالطبيب لكى تعتذر اليه ، ولكن هل تجرؤ وتحدثه بما وقع لها .

واحست بالسخونة تسرى فى اطرافها فجاة ، فقد غلى الدم فى عروقها لفرط الانفعال ، وخاطبت الطفل فسالته قائلة :

ـ ما اسمك ؟

ولكن الطفل اكتفى بان راح ينظر اليها بعينيه الداكنتين من غير ان يرد . فعادت تقول :

ـ هل تعرف اين تقيم ؟

لم يكن مصغيا اليها ، وخطر لها انه ربما لا يفهم اللغة الفرنسية .

ـ معذرة يا سيدى .. هل تتفضل فتخبرنى كم الساعة الآن ؟

ـ الثانية عشرة الا الثلث يا سيدتى .

ولم تعد الام ، وفى تمام الظهر ، عندما انطلقت بعض الصفارات وامتلأت انحاء المجاورة بالبنائين والعمال لم تكن قد عادت بعد .

ولم يعد يزعج مدام ميجريه عندئذ غير شىء آخر ، هو دجاجتها التى تركتها فى الفرن . لقد اخبرها ميجريه انه يحتمل جدا ان يعود فى الساعة الواحدة لتناول الغداء .

اليس من الاوفق لها ان تتصل بالبوليس ؟ .. ولكن يلزمها ان تغادر الميدان لكى تفعل ذلك . واذا هى اخذت الطفل معها وعادت

الام أثناء ذلك فسوف يتملكها الذعر ، وستجن من القلق ، ولا يعلم غير الله اين تذهب بدورها وكيف تلتقيان بعد ذلك . ولم يكن بمقدورها أن تترك طفلا فى السنة الثانية من عمره فى منتصف الطريق طبعا ... على بعد خطوات من الحافلات والسيارات التى تمر فى غير انقطاع .

ـ معذرة يا سيدتى .. كم الساعة الآن ؟

ـ الثانيةعشرة والنصف .

لا ريب ان الدجاجة قد بدأت تحترق ، وسيعود ميجريه بعد لحظات ، وستكون هذه أول مرة منذ زواجهما لا يجدها فى البيت عند عودته .

وكان من المستحيل أن تتحدث معه بالتليفون هو الآخر ، لانه كان يتعين عليها أن تغادر الميدان وأن تدخل البار . لو يأتى الشرطى الذى رأته قبل ذلك أو أى شرطى آخر فسوف تذكر له من هى وتسأله أن يتصل بزوجها . ولكن كما لو ان الامر قد جاء عمدا ، لم تر أى شرطى . وراحت تتلفت من كل ناحية ، وتجلس ثم تنهض وهى تتخيل ، ما بين لحظة وأخرى أنها ترى القبعة البيضاء ، ولكنها لم تكن أبدا القبعة التى تتوقعها .

وأحصت أكثر من عشرين قبعة فى نصف ساعة من بينها أربعا ترتدى صاحباتها تايرا كحليا .

***

فى الساعة الحادية عشرة ، فى الوقت الذى بدأت مدام ميجريه تشعر فيه بالقلق ، مضطرة الى البقاء فى الميدان للاحظة طفل لا تعرف حتى اسمه ، وضع ميجريه قبعته فوق رأسه وخرج من مكتبه ووجه بضع كلمات الى لوكاس ثم مضى وهو يتذمر نحو الباب الذى يفصل بين مكاتب البوليس الجنائى ودار القضاء .

كان الامر قد أصبح عادة منذ ذلك الوقت الذى بدأت مدام ميجريه تذهب فيه الى طبيب الاسنان تقريبا ... وبلغ ميجريه دهليز قضاة التحقيق ، حيث ينتظر دائمـــا أناس مجهولون فوق المقاعد ، بعضهم بين رجلين من رجال الشرطة ، وطرق بابا عليه لافتة تحمل اسم القاضى دوسان .

ـ ادخل .

كان القاضى رجلا ضخما ، ما ان راى ميجريه حتى بادره قائلا :

ـ اجلس يا ميجريه ودخن غليونك . هل قرات مقال هذا الصباح ؟ .

ـ لم ار الجرائد بعد .

دفع القاضى اليه بجريدة بها عنوان كبير بالحروف الضخمة فى الصفحة الاولى هذا نصه :

«قضية ستوفيل »

« الاستاذ فيليب ليوتار يلجأ الى لجنة حقوق الانسان »

قال دوسان : لقد دار بينى وبين المدعى العام حديث طويل ، وهو يتفق معى فى الراى .. اننا لا نستطيع ان نطلق سراح المجلد ، ولو أردنا ذلك لمنعنا ليوتار نفسه بسلاقته وحدته .

كان هذا الاسم يكاد يكون مجهولا فى دار القضاء قبل ذلك ببضعة أسابيع ، فان فيليب ليوتار ، وكان قد تجاوز الثلاثين بقليل ، لم يترافع فى أية قضية هامة ، فبعد أن قضى خمس سنوات يعمل سكرتيرا لاحد كبار المحامين بدأ يعمل لحسابه الخاص ، وكان فى ذلك الوقت لا يزال يقيم فى شقة متواضعة بشارع بيرجير ، بجوار بيت من بيوت الدعارة .

ولكن منذ أن تفجرت قضية ستوفيل واخذت الجرائد تفيض فى الحديث عنها كل يوم راح يعطى الاحاديث المدوية ويرسل النشرات ، بل راح يظهر فى جريدة الانباء بالسينما وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

ـ هل هناك جديد ؟

ـ لا شىء يستحق الذكر يا سيدى القاضى .

ـ هل تأمل العثور على الرجل الذى سلم البرقية ؟

ـ ان تورينس فى كونكارنو ، وهو رجل يجيد التصرف .

كانت قضية ستوفيل ، التى أثارت الراى العام منذ ثلاثة اسابيع

لا تزال تحظى ببعض العناوين فى الجرائد ، كما لو كانت رواية مسلسلة .

وقد بدات القضية بالعنوان التالى :

« قبو شارع تورين »

ومن غريب الصدف ان القضية بدات فى حى يعرفه ميجريه كل المعرفة ، وكان يرجو الاقامة فيه وهو يقع على بعد خمسين مترا من ميدان الفوج .

فبعد شارع جران بورجوان ، وعلى ناصية شارع تورين من ناحية شارع الجمهورية ، يقع على اليسار بار صغير مدهون باللون الاصفر وبجواره محل « البان سالمون » ثم ورشة تجليد منخفضة السقف ، ذات واجهة زجاجية يعلوها الغبار مكتوب عليها بحروف قاتمة : ورشة الفن للتجليد . أما المحل الذى يليه فقد خصصته مدام رانس ، الارملة ، لبيع المظلات .

وبين ورشة التجليد ومحل المظلات باب يفضى الى غرفة البواب . وفى آخر الفناء ، فندق خاص قديم تحول الآن الى عدة مكاتب ومساكن .

« جثة فى غرفة التدفئة »

اما ما لم يعرفه الجمهور فهو ان البوليس حرص على الا يذكر للجرائد ان القضية قد بدات بأغرب الصدف ، ففى ذات صباح عثر البوليس الجنائى فى صندوق البريد الخاص به بادارة الامن على قصاصة خبيثة من الورق الذى يستعمل فى اللف وعليها هذه الكلمات :

« مجلد شارع تورين احرق جثة فى غرفة التدفئة بمسكنه »

ولم يكن القصاصة تحمل اى توقيع ، وانتهى بها المطاف الى مكتب ميجريه . وكان هذا الاخير متشككا فلم يكلف احد مفتشيه القدامى ، وانما أرسل لابوانت الشاب ، وهو شرطى كان يتمرن لاظهار مواهبه .

ورأى لابوانت ان هناك ورشة تجليد فى شارع تورين حقا يتولاها

رجل فلمندى نزح الى فرنسا منذ خمسة وعشرين سنة ويعرف باسم فرانز ستوفيل ، وزعم لابوانت انه من موظفى الصحة وفحص المكان وعاد الى رؤسائه ومعه تقرير واف .

ـ ان ستوفيل يقوم بعمله فى الفترينة ، اذا جاز لنا هذا القول يا سيدى القوميسير ، أما الورشة فكبيرة ومظلمة ، تزداد ظلمة كلما ابتعدت أنت عن الشارع ، ويقطعها حاجز خشبى اقام آل ستوفيل غرفة نومهما خلفه .

« وهناك سلم يفضى الى مطبخ تحت الارض ، وغرفة صغيرة تستخدم لتناول الطعام لابد من اضاءتها طوال اليوم ، وهناك أخيرا قبو ...

ـ وهل يوجد به جهاز تدفئة ؟

ـ نعم . وهو جهاز قديم يبدو انه فى حالة غير جيدة .

ـ وهل يعمل ؟

ـ لم يكن مشتعلا صباح اليوم .

وذهب لوكاس بعد ظهر اليوم لكى يقوم بتفتيش رسمى . ومن حسن حظه انه حرص على أن يأخذ اذنا بالتفتيش لان المجلد اعترض محتجا بحرمة البيوت وحصانتها .

وأوشك البريجادير لوكاس ان يعود بخيبة حنين . ولكن الآن وقد أصبحت هذه القضية الكابوس المزعج للبوليس الجنائى فانهم أخذوا ينظرون اليه بحقد لأنه فلح فى مهمته جزئيا .

ففى قاع جهازالتدفئة ، وبينما هو يفربل الرماد عثر على ضرسين آدميين حملهما الى المعمل على الفور . وسأله ميجريه ، ولم يكن فى ذلك الوقت ، يهتم بهذه القضية الا من بعيد .

ـ اى نوع من الرجال هذا المجلد ؟

ـ انه فى نحو الخامسة والاربعين ، أحمر الشعر ، بوجهه آثار الجدرى ، أزرق العينين ، رقيق الحاشية ، ومع ان زوجته تصغره سنا الا انها تحنو عليه كما لو كان طفلا .

وعرف الجميع الآن أن فرناند ، وقد اصابتها الشهرة بدورها ،

اقبلت الى باريس لكى تعمل خادمه . وانها قضت سنوات طويلة تتسكع فى شارع سيبا ستبول . وكانت فى السادسة والثلاثين وتعيش مع ستوفيل منذ عشر سنوات . وقد تزوجا فجاة منذ ثلاث سنوات . بدون أى سبب ظاهر .

وارسل المعمل تقريره فقال ان الضرسين لرجل فى نحو الثلاثين من عمره ، ممتلىء الجسم وانه كان لا يزال على قيد الحياة قبل ذلك ببضعة ايام .

وجىء بستوفيل الى مكتب ميجريه فى رفق . وجلس على مقعد مكسو بالمخمل الاخضر امام النافذة التى تطل على نهر السين ، وكانت الدنيا تمطر فى ذلك اليوم مطرا شديدا . واثناء التحقيق الذى استمر نحو اثنتى عشر ساعة كانت قطرات المطر تسمع وهى تصطفق بزجاج النوافذ وخرير الماء وهو ينساب فى المزاريب . وكان المجلد يضع على عينيه نظارة ذات زجاج سميك وشمبر من المعدن . وكان شعره طويلا بعض الشىء وكثيفا . وكان مشعثا . ويلبس ربطة عنقه بالمقلوب .

كان رجلا مثقفا واسع الاطلاع ، بدا هادئا متزنا . وكانت بشرته الرقيقة الحمراء لا يظهر عليها الانفعال أو التأثر بسهولة .

ـ كيف تفسر وجود الضرسين البشريين فى غرفة التدفئة ؟

ـ لا ادرى .

ـ الم تفقد اى ضرس من اضراسك أنت او زوجتك اخيرا ؟

ـ لا انا ولا هى .. اننى ألبس طاقما صناعية .

وخلع طاقم اسنانه من فمه تدليلا على قوله ثم أعاده مكانه فى حركة عادية .

ـ هل يمكنك أن تذكر لى ماذا فعلت ليلة ١٦ و ١٧ و ١٨ فبراير ؟ .

كان الاستجواب يدور ليلة ٢١ .. أى بعد ان فرغ لابوانت من زيارته ، ولوكاس من تفتيشه بشارع تورين .

ـ اهناك يوم جمعة بين هذه الايام .

ـ يوم ١٦ .

ـ اذا كان الامر كذلك فانني ذهبت الى سينما سان بول بشارع انطوان كما افعل كل جمعة .

ـ مع زوجتك ؟

ـ نعم .

ـ واليومان الباقيان ؟

ـ سافرت فرناند بعد ظهر يوم السبت .

ـ اين ؟

ـ الى كونكارنو .

ـ وهل كانت تزمع الرحيل منذ وقت طويل ؟

ـ ان امها عاجزة ، وتقيم مع ابنة لها في كونكارنو . وفي صباح يوم السبت جاءتنا برقية من اختها اويز تقول ان امها مريضة جدا فاستقلت فرناند اول قطار .

ـ من غير ان تتصل بالتليفون ؟

ـ ليس لديهم اى تليفون ؟

ـ هل كانت الام في حالة خطرة ؟

ـ لم تكن مريضة على الاطلاق ... فان البرقية لم تأت من اويز .

ـ ممن اتت اذن ؟

ـ لاندرى .

ـ هل سبق ان رحت ضحية مثل هذه الخدعة ؟

ـ ابدا .

ـ ومتى عادت زوجتك ؟

ـ يوم الثلاثاء ، فقد انتهزت فرصة وجودها هناك وبقيت يومين مع امها واختها .

ـ وماذا فعلت انت طوال هذا الوقت ؟

ـ اشتغلت .

ـ يقول احد السكان ان دخانا كثيفا تصاعد من مدفأتك طوال يوم الاحد .

ـ هذا جائز ، فقد كان البرد قارسا .

وكان هذا صحيحا ، فقد كان يوم الاحد ويوم الاثنين شديدى البرد الى درجة أن الصقيع شوهد فى بعض الاحياء .

ـ ماذا كنت ترتدى مساء يوم السبت ؟

ـ الثياب التى ارتديها اليوم .

ـ ألم يأت أحد لزيارتك بعد ان اغلقت المحل ؟

ـ لا احد فيما عدا عميل جاء يبحث عن كتابه . هل تريد اسمه وعنوانه ؟

كان العميل رجلا معروفا وعضوا من اعضاء هواة الكتب النادرة ، وكانوا جميعا من الشخصيات البارزة .

ـ تقول مدام سالازار ، بوابة البيت انها سمعت بعضهم يطرق بابك فى تلك الليلة فى نحو الساعة التاسعة وان اشخاصا كثيرين كانوا يتبادلون الحديث فى حدة .

ـ لعلهم كانوا يتحدثون على الرصيف وليس فى مسكنى ، ومن الجائز جدا أنهم وقفوا أمام محلى واحتدوا فى حديثهم كما تقول مدام سالازار .

ـ كم بذلة لديك ؟

ـ بما أنه ليس لى غير جسد واحد وراس واحدة فاننى لا املك غير بذلة واحدة وقبعة واحدة ، وذلك بخـــلاف البنطلون القديم والصدرية الصوف اللتين استخدمهما فى العمل .

وعرضوا عليه عندئذ سترة زرقاء عثروا عليها فى دولاب مسكنه ، وسألوه : وهذه ؟

ـ ليست لى .

ـ وكيف جاءت الى دولاب ملابسك ؟

ـ لم أرها قط . فى مقدور أى شخص أن يدسها فى دولاب ثيابى اثناء غيابى ، فأنا هنا منذ ست ساعات .

ـ هل لك ان تلبسها من فضلك ؟

وجاءت السترة على مقاسه تماما .

ـ هل ترى هذه البقع التى تشبه الصدا ؟ .. انها بقع من الدم ، وهو دم بشرى طبقا لتقرير الخبراء ... وقد حاول بعضهم ازالتها عبثا .

ـ لا اعرف هذه البذلة .

ـ ان مدام رانسيه صاحبة محل المظلات تقول انها راتك كثيرا وانت تلبس بذلة زرقاء خصوصا ايام الجمع عندما تذهب الى السينما .

ـ كانت لدى بذلة اخرى زرقاء ، ولكننى تخلصت منها منذ اكثر من شهرين .

كان ميجريه مقطبا بعد هذا الاستجواب الاولى ، ودار بينه وبين القاضى دوسان حديث طويل مضيا بعده الى المدعى العام .

وكان هذا الاخير هو الذى تحمل مسئولية القاء القبض على المجلد قائلا :

ـ ان الخبراء متفقون ، اليس كذلك ؟ .. اما الباقى فهو من شأنك انت يا ميجريه .. لا يمكن ان نطلق سراح هذا الرجل .

وما ان طلع صباح اليوم التالى حتى ظهر الاستاذ ليوتار من الظل وراح يتابع ميجريه كظله ، كالكلب الشكس .

ومن بين عناوين الصحف كان هناك عنوان اصاب نجاحا لا باس به وهو :

« الحقيبة التى اختفت »

والواقع ان لابوانت الشاب حين ذهب الى المجلد زاعما انه احد موظفى الصحة راى حقيبة سمراء ضاربة الى الاحمرار تحت منضدة المجلد .

ـ كانت حقيبة عادية رخيصة اصطدمت بها عفوا ، وقد دهشت لان الصدمة آلمتنى بحيث اننى اردت ان انقلها من مكانها ولكنها كانت ثقيلة على غير العادة .

ولكن فى الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم نفسه ، عندما ذهب لوكاس للتفتيش لم تكن الحقيبة موجودة ، واذا نحن توخينا الدقة

فاننا نقول انه كانت هناك حقيبة سمراء تميل الى الاحمرار هى الاخرى . ومن النوع الرخيص كذلك ، ولكن لابوانت اكد تاكيدا قاطعا بأنها ليست نفس الحقيبة التى سبق ان رآها .

وقالت فرناند : انها الحقيبة التى اخذتها معى الى كونكارنو ، ولا نملك اية حقيبة غيرها ابدا فنحن والحق يقال لا نسافر كثيرا .

واصر لابوانت على رايه واقسم انها ليست نفس الحقيبة ، وان الاولى كانت فاتحة اللون وقبضتها مثبتة بقطعة من الدوبارة .

وقال المجلد : لو ان لدى حقيبة تحتاج الى اصلاح فما كنت لاثبتها بقطعة من الدبارة .. لا تنسوا اننى مجلد وأن مهنتى هى استخدام الجلد .

ولجأ فيليب ليوتار عندئذ الى شهادات هواة الكتب الذين اكدوا ان ستوفيل من امهر مجلدى باريس ان لم يكن أفضلهم جميعا ، وأنهم يعهدون اليه بكتبهم الرقيقة لا سيما تلك التى تحتاج الى اعادة تجليدها من جديد .

واجمع الجميع على انه رجل هادىء يقضى كل وقته تقريبا فى ورشته ، وعبثا فتش البوليس فى حياته فلم يجد فى ماضيه مايريب .

كانت هناك قصة فرناند طبعا .. وكان قد تعرف بها وهى تتسكع على الرصيف ، وهو الذى انقذها من حياتها تلك . ولكن البوليس لم يجد فى حياة فرناند ما يريب بعد ذلك .

وكان تورينس فى كونكارنو منذ اربعة ايام ، وقد عثر فى مكتب البريد على أصل البرقية ، وكانت مكتوبة باليد بحروف المطبعة ، وقالت موظفة مكتب البريد أنه يخيل اليها انها تتذكر ان امراة هى التى جاءتها بالبرقية . وراح تورينس يبحث ويسجل قائمة المسافرين الذين أقبلوا من باريس حديثا ، ويستجوب نحو مائتى شخص يوميا .

وقال الاستاذ ليوتار لاحد الصحفيين : اننا لقينا الكثير من كفاءة ميجريه ومناعته ضد الخطأ .

وراح القاضى دوسان يوبخ ميجريه ويلومه بدوره . وكان وجهه يضطرم خجلا وهو يوجه اليه هذا اللوم ، وانتهى بأن قال :

ـ ألم تهتد الى أى دليل جديد ؟

ـ اننى أبحث .. نحن عشرة .. وأحيانا نكون اكثر .. ونحن نبحث ونستجوب بعض الاشخاص عشرات المرات .. ويأمل لوكاس ان يهتدى الى الترزى الذى فصل البذلة الزرقاء .

وكما هى العادة ، حين تثير احدى القضايا الرأى العام ، كانت تأتيهم يوميا مئات من الرسائل كانت تدفعهم كلها الى آثار كاذبة ، وتضيع وقتا كبيرا . ومع ذلك فانهم كانوا يتحققون من أقل شىء ، ويصغون الى المجانين الذين يزعمون انهم يعرفون شيئا ما .

وفى الساعة الواحدة الا عشر دقائق هبط ميجريه من الحافلة ، عند ناصية شارع فولتير ، وألقى نظرة الى نوافذه كعادته وأدهشه بعض الشىء أن يجد غرفة الطعام مغلقة على الرغم من أشعة الشمس الساطعة التى تنعكس عليها .

وصعد السلم على مهل وأدار أكرة الباب فلم ينفتح ، كان يحدث أحيانا ، حين ترتدى مدام ميجريه ثيابها ، أو حين تنضوها عنها أن تغلق الباب بالمفتاح . وفتح بمفتاحه ، وما كاد يفعل حتى رأى نفسه بين سحابة من الدخان الازرق فأسرع الى المطبخ وأقفل مفتاح الغاز . وفى الصينية كانت الدجاجةوالجزرة والبصلة قد تحولوا الى كتل من الفحم الاسود .

وفتح كل النوافذ ، وعندما دفعت مدام ميجريه ، وهى تلهث ، الباب بعد نصف ساعة ، ألفته جالسا امام كسرة الخبز وقطعة من الجبن .

ـ كم الساعة .

واجابها فى هدوء : الواحدة والنصف .

لم يسبق له ان رآها قط فى مثل هذه الحالة ، بقبعتها المقلوبة وشفتها التى تختلج لفرط اضطرابها .

ـ أرجو الا تضحك على .

ـ ولكننى لا اضحك .

ـ ولا ترجونى ايضا . لم استطع ان افعل غير ما فعلت ، وكنت اتمنى ان اراك مكانى ... حين ارى انك تاكل قطعة من الجبن ..

ـ والطبيب ؟

ـ اننى لم اره .. بقيت من الساعة الحادية عشرة الا الربع فى وسط ميدان دانفر دون ان استطيع الحراك .

ـ هل اصابتك وعكة ما ؟

ـ وهل راينتى اصبت بوعكة ما طوال حياتى ؟ .. كلا . انما ذلك بسبب الطفل . وعندما بدا يبكى ويضرب الارض برجليه راح الناس ينظرون الى كما لو كنت لصة .

ـ اى طفل ؟

ـ اننى حدثتك عن السيدة ذات الثوب الازرق وعن طفلها ؛ ولكنك لم تكن تصغى الى . تلك التى تعرفت بها فوق المقعد ، وانا انتظر دورى عند الطبيب . انها نهضت مسرعة صباح اليوم وابتعدت وهى تطلب منى ان ارقب الطفل لحظة .

ـ ولم تعد ؟ .. ماذا فعلت بالطفل ؟

ـ عادت اخيرا منذ ربع ساعة فقط . وجئت فى سيارة اجرة .

ـ وماذا قالت لك عندما عادت ؟

ـ اجمل ما فى الامر انها لم تقل لى شيئا على الاطلاق . كنت واقفة وسط الميدان ، كاننى فى دوامة مع الطفل الذى اثار المارة بصراخة وعويله . وفجاة رايت سيارة اجرة تقف على ناصية شارع ترودين . وعرفت القبعة البيضاء على الفور . وفتحت باب السيارة واشارت الى . وجرى الطفل امامى ، وخشيت ان تدهمه احدى السيارات . وبلغ سيارة الاجرة قبلى ، وانقفل بابها عندما اقتربت منها بدورى .

وصاحت المراة تقول :

ـ غدا ... سافسر لك الامر غدا .. اغفرى لى .

ولم تنطق حتى بكلمة شكر واحدة . ولم تلبث سيارة الاجرة ان

انطلقت الى شارع روشيشوار وانعطفت الى اليسار ، نحو ميدان بيجال .

وسكتت وقد انبهرت منها انفاسها ، وخلعت قبعتها بحركة مفاجئة بحيث تهدل شعرها ، وقالت :

ـ اتضحك ؟

ـ ولكنني لا اضحك .

ـ اعترف ان هذا يثير ضحكك . ولكن هذا لم يمنع من انها تركت ابنها أكثر من ساعتين بين يدى امرأة غريبة .. انها لا تعرف حتى اسمى .

ـ وانت أ .. هل تعرفين اسمها ؟

ـ كلا .

ـ وهل تعرفين اين تقيم ؟

ـ لا اعرف شيئا على الاطلاق ، فيما عدا انني لم اتمكن من الذهاب الى الطبيب وان دجاجتى احترقت ، وانك تأكل قطعة من الجبن كما لو كنت ... كما لو كنت ...

واذ لم يسعفها النطق اجهشت بالبكاء وهى تمضى الى غرفة النوم لكى تستبدل ثيابها .

(٢)

متاعب تورين العظيم

كانت لميجريه طريقته الخاصة فى ارتقاء طابقى ادارة البوليس ، فكان يبدو ، وفى البداية ، خلى البال ، غير مكترث وهو يصعد اولى درجات السلم ثم لا يلبث ان تتغير ملامحه كلما تغلغل داخل الادارة كما لو ان مشاكل المكتب تاخذ منه كل افكاره كلما اقترب منه ..

وحين يمر بالحاجب يكون قد تغير تماما واصبح الرئيس . وفى هذه الايام الاخيرة ، اعتاد ، قبل ان يدفع باب مكتبه ، سواء كان الوقت صباحا او بعد الظهر ، ان يدخل مكتب المفتشين ، وينتقل منه ، وقبعته على راسه ومعطفه فوق ظهره ، الى مكتب لوكاس ، الذى لقب بهذه المناسبة باسم « تورين العظيم » كناية على الاهمية التى اتخذتها قضية ستوفيل ، فقد عهدوا الى لوكاس بجمع المعلومات ومضاهاتها بعضها ببعض والتحقق منها يوميا ، وازداد العمل وتراكم لانه هو الذى كان ياخذ المكالمات التليفونية ويفض البريد الخاص بالقضية ويستقبل المرشدين ، ولهذا لم يستطع مباشرة عمله فى مكتبه الخاص ، حيث حركة الدخول والخروج مستمرة ، فلجا الى غرفة مجاورة خطت يد عابثة على بابها هاتين الكلمتين « تورين العظيم » .

وما ان يفرغ احد المفتشين من قضية ما او ما ان يعود احدهم من مهمته حتى يخاطبه احد زملائه قائلا :

ـ هل فرغت من عملك ؟

ـ نعم .

ـ اذهب الى تورين العظيم اذن فانه بحاجة الى موظفين .

وكان هذا حقا ، فان لوكاس لم يكن لديه ما يكفيه من الموظفين ، ولم يكن هناك شخص بادارة البوليس الا وقد ذهب اكثر من مرة الى شارع تورين .

كانوا جميعهم يعرفون المكان جيدا .. ورشة التجليد ، والمقاهى الثلاثة التى تقع حولها .. اولا مقهى ومطعم بشارع جيران بورجوا ، ثم مقهى تورين امام الورشة ، واخيرا مقهى الفوج ، وتقع على بعد ثلاثين مترا ، اتخذه الصحفيون مقرا لهم .

فقد كانوا يتابعون القضية هم ايضا ، فكانوا يقضون اوقاتهم فى مقهى الفوج ويراقبون ورشة الفلمندى . كانت المقهى مقرا عاما لهم . أما مكتب لوكاس فقد أصبح فرعا لها بالنسبة لهم .

واغرب ما فى الامر هو ان لوكاس الشهم قد احتجزه العمل وانهمك فى تبويب الشهادات والتحقق منها ، وكان هو الوحيد الذى لم يذهب الى مكان الجريمة منذ زيارته له فى أول يوم .

ومع ذلك فقد كان هو الوحيد الذى يعرف المكان خيرا منهم جميعا . كان يعلم ان هناك محلا للنبيذ بعد مقهى تورين ، وكان يعرف أصحابه ، وكان يكفيه أن يطلع على بطاقة ما لكى يعرف الاقوال التى ادلى بها كل منهم الى المفتشين الذين استجوبوهم .

كلا ... ان اصحاب هذا المحل لم يروا شيئا ، فقد سافروا مساء السبت الى وادى شيفروز حيث اعتادوا قضاء عطلة نهاية الاسبوع فى فيللا صغيرة شيدوها لهذا الفرض .

وبعد محل النبيذ كان هناك محل اسكافى يدعى مسيو بوسكيه ، وكان هذا الاخير كثير الكلام على النقيض من الآخرين ، ولكن كان عيبه انه لا يذكر نفس الشىء للجميع ، وكان هذا يرجع الى الوقت الذى يستجوبونه فيه والى عدد الكئوس التى تناولها فى احد المقاهى القريبة .

وتأتى بعده مكتبة فرير ، وهى عبارة عن محل لبيع الادوات المكتبية بالجملة ، وخلفه ، فى الفناء ، محل لعمل علب من الكرتون .

وفوق ورشة فرانز ستوفيل ، كانت هناك ورشة لصناعة

المجوهرات الصناعية معـــروفة باسم « ورشة ساس ولابنسكى » يعمل بها نحو عشرين فتاة واربعة او خمسة من الرجال لهم اسماء غريبة من العسير حفظها ، وقد استجوبهم رجال البوليس جميعا ، بل ان بعضهم تم اســـتجوابهم اربع أو خمس مرات . وقد قام باستجوابهم مفتش مختلف فى كل مرة ، هذا بخلاف تحقيقات رجال الصحافة المتكررة . كانت هنـاك منضدتان من الخشب الابيض فى مكتب لوكاس تكدست فوقهما الاوراق والتقارير والمذكرات . وكان لوكاس وحده يعرف كل مافيها .

كان يبوب مذكراته أولا بأول دون ملل أو تعب ، وقد جاء ميجريه بعد ظهر اليوم مرة اخرى فوقف خلفه دون أن ينطق وهو يدخن غليونه .

كانت هناك ورقة تحمل كلمة « الاسباب » اسودت بالملاحظـات وشطبت كلها الواحدة بعد الاخرى .

وكانوا قد وجهوا ابحاثهم الى النـاحية السياسية ، ليس بالمعنى الصحيح الذى أشـــار اليه الاستاذ ليوتار ، لان ذلك لم يكن له اى اساس ، ولكن ستوفيل كان يعيش منزويا ، وكان يحتمل أنه ينتمى الى منظمة ارهابية .

ولكن لم تسفر هذه التحريات عن أى شىء فكلما نقبوا فى حياته كلما بدت لهم نظيفة لا يشوبها شائبة . وكانت الكتب التى تضمها مكتبته كتبا مختارة كلها لانها لأشهر كتاب العالم كله وتدل على ان صاحبها رجل ذكى على جانب كبير من الثقافة ... لم يكن يكتفى بقراءتها ، وانما كان يدون ملاحظاته على هوامشها .

الغيرة ؟ .. لم تكن فرناند تخرج بدونه ابدا الا لشراء ما يحتاجان اليه من السوق ، ومن مكانه كان فى مقدوره تقريبا ان يتابعها ببصره وهى تشترى ما تريد .

وقد تساءل المحققون اذا لم تكن هناك علاقة بين الجريمة المزعومة وبين وجود ورشة التجليد تحت مصنع الحلى الصناعية . ولكن لم تقع اية سرقة فى المصنع ، ثم ان عمـــال المصنع واصحابه كانوا لا يعرفون المجلد معرفة وثيقة ولم يزد الامر معهم عن رؤيتهم له وهو يباشر عمله من خلف زجاج الفترينة .

ولا شيء ايضا من ناحية بلجيكا ، فقد غادرها ستوفيل وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، ولم يعد اليهـــا بعد ذلك ابدا ، ولم يهتم بالسياسة فى حياته كلها، ولم يكن هناك ما يدل على انه ينتمى الى أية حركة فلمندية متطرفة .

واجه المحققون كل الاحتمالات ، وقبل لوكاس كل الآراء واكثرها غرابة تبرئة لضميره ، وكان يفتح باب مكتب المفتشين ويدعوا احدهم كيفما اتفق ، وكانوا يعرفون معنى هذا : تحقيق جديد لابد لهم من القيام به فى شارع تورين أو فى أى مكان آخر . وكان يقول عندئذ لمجريه وهو يأخذ ورقة من الملفات المكدسة فوق مكتبه .

ـ أظننى اهتديت الى شيء .. اننى وجهت نداء الى جميع سائقى سيارات الاجرة . وقـد خرج من عندى الآن سائق روسى تجنس أخيرا بالجنسية الفرنسية ، وسأتحقق من أقواله .

كانت كلمة « سأتحقق » هى الكلمة الشائعة عندئذ .

ـ أردت أن أعرف اذا كانت احدى سيارات الاجرة قد أقلت يوم ١٧ فبراير شخصا او اكثر الى محل المجلد بعد غروب الشمس. وقد قال لى ذلك السائق : ويدعى جورج بسكين ان ثلاثة أشخاص استقلوا سيارته فى الساعة الثامنة والربع تقريبا فى ذلك اليوم من محطة سان لازار ، وانهم طلبوا منه ان يذهب بهم الى ناصية شارعى تورين وجران بورجوا . وكانت الساعة قد تجاوزت الثامنة والنصف عندما هبطوا من سيارته ، وهذا يتفق تقريبا مع شهادة البوابة فيما يتعلق بالاصوات التى سمعتها . والسائق لا يعرف هؤلاء الركاب ولكنه يقول أن بين الثلاثة الذين ركبوا معه رجل شرقى كان أكثرهم شراسة وغلظة .

ـ وبأى لغة كانوا يتكلمون ؟

ـ باللغة الفرنسية . وكان هناك رجل كبير اشقر بدين بعض الشيء فى الثلاثين من عمره ، كان يبدو قلقا ولا يشعر بالارتياح . أما الاخر فهو رجل فرنسى متوسط العمر لا يرتدى ثيابا جيدة مثلهما ولا يبدو انه ينتمى الى نفس الوسط الذى ينتمى اليه الآخران . وعنـدما هبطوا من السيارة دفع الشرقى الاجرة ، ومضوا جميعا الى شارع تورين صوب المجلد .

ولولا قصة سيارة الاجرة هذه لما فكر ميجريه فى الحادث الذى وقع لزوجته فقد قال يخاطب اوكاس :

ـ بما انك تهتم بسائقى سيارات الاجرة الآن فيمكنك ان تستعلم عن حادث صغير وقع صباح اليوم وليس له اية صلة بقضيتنا هذه ، ولكنه يثير حيرتى .

ولكن لوكاس سرعان ما راى غير ذلك ، وربط بين هذا الحادث الصغير وبين قضية ستوفيل ، وما أن طلع صباح اليوم التالى حتى طلب تقارير رجال البوليس والشرطة لكى يتأكد من انها لا تضم شيئا يحتمل أن تكون له علاقة بالقضية التى تشغله .

كان يقوم وحده ، فى مكتبه ، بعمل ضخم لم يكن قراء الجرائد وهم يتصفحون جرائدهم ويتابعون قضية ستوفيل متابعتهم للقصص المسلسلة يدرون عنه شيئا ما .

وسرد عليه ميجريه فى كلمات وجيزة قصة السيدة ذات القبعة البيضاء والصبى الصغير وقال له :

ـ يمكنك أن تتصل تليفونيا ببوليس الدائرة التاسعة . ان جلوسها كل يوم على مقعد ميدان دانفر يجعلنا نعتقد انها تقيم فى نفس الحى . فليبحثوا فى النواحى واستجوبوا التجار والفنادق واصحاب الفرف المفروشة .

البحث والتحرى ! .. فى الوقت العادى ، كان لوكاس يجد عشرة من المفتشين فى وقت واحد ، يدخنون ويكتبون التقارير ويقراون الجرائد أو يلعبون الورق فى المكتب المجاور . أما الآن فكان من النادر أن ترى اثنين منهم فى وقت واحد فما يكاد احدهم يقبل حتى يفتح « تورين العظيم » الباب ويسأله قائلا :

ـ هل فرغت من عملك ؟ .. تعال لحظة .

ولا يلبث صاحبنا أن ينطلق وراء اثر جديد .

وقد بحثوا عن الحقيقة المختفية فى كل مخازن محطات السكك الحديدية . وعند تجار البضائع المستعملة .

كان لابوانت الشاب يفتقر الى التجربة ، ولكنه كان شابا رزينا

جادا لا يمكن ان يختلق قصة ما . وبناء على ذلك ، كانت هناك في صباح يوم ٢١ فبراير في ورشة ستوفيل حقيبة لم تلبث ان اختفت حين ذهب لوكاس الى الورشة في الساعة الخامسة بعد الظهر .

ولكن بقدر ما يذكر الجيران ، لم يخرج ستوفيل من بيته في ذلك اليوم ، ولم ير احدهم فرناند تغادر البيت وفي يدها حقيبة او شيء ما .

فهل أقبل احدهم ليأخذ بعض الكتب المجلدة ؟ .. تحرى البوليس هذا الامر أيضا ، وقد اتضح ان سفير الارجنتين أرسل رسولا ليأخذ مستندا أفلح ستوفيل في تجليده تجليدا فاخرا ، ولكن المستند لم يكن ضخما ، وقد خرج الرسول وهو يحمله تحت ابطه .

وقضى مارتن ، وهو أكثر رجال البوليس علما وثقافة ، ما يقرب من أسبوع في ورشة ستوفيل وهو يبحث بين الكتب ، ويدرس جميع الاعمال التي فرغ منها المجلد في الشهر الاخير واتصل بالعملاء تليفونيا وقال أخيرا :

ـ انه رجل عجيب .. لديه نخبة ممتازة من العملاء ، وهم جميعا يثقون به ، ويعمل بصفة خاصة مع سفارات كثيرة .

ولكن لم يكن هناك اى غموض في هذه الناحية كذلك . واذا كانت السفارات تعهد اليه بأعمالها فذلك لانه كان اختصاصيا في جميع الشعارات ، ولانه يملك عددا كبيرا من الاكلشيهات لمختلف الشعارات مما يسمح له بتجليد الكتب أو المستندات لعدد كبير من السفارات .

ـ أرى انك غير راض أيها الرئيس ، ولكن سينتهي بنا الامر الى ان نخرج من كل هذا بشيء ما .

وكان لوكاس الشهم الذي لا يعرف الوهن يشير الى اكداس الاوراق التي فوق مكتبه ويقول :

ـ انهم عثروا على ضرسين في غرفة التدفئة ، وهذان الضرسان

لم يذهبا هناك وحدهما . وبعث احدهم ببرقية من كونكارنو لاستدراج زوجة ستوفيل اليها . والسترة الزرقاء المعلقة بالدولاب بها دم بشرى حاول بعضهم ازالته عبثا . ومهما يفعل الاستاذ ليوتار او يقول فان ذلك ان يغير من الامر شيئا .

ولكن تلك الاوراق التى كان اوكاس يشير اليها كانت تثقل على القوميسير ، وكان ينظر اليها نظرة عابسة :

ـ فيم تفكر ايها الرئيس ؟

ـ فى لا شىء .. اننى متردد ...

ـ فى اطلاق سراحه ؟

ـ كلا ، فهذا شأن قاضى التحقيق .

ـ واولا ذلك لاطلقت انت سراحه ؟

ـ لا ادرى ... اننى ترددت فى الاهتمام بهذه القضية منذ البداية .

قال اوكاس فى شىء من الغيظ : هذا شأنك انت .

ـ ولكن هذا لا يمنعك من الاستمرار فى عملك على العكس ، فاننا او تأخرنا اكثر من ذلك فاننا لن نجد انفسنا .. دائما نفس الامر ، فما ان تتدخل الصحافة حتى يسرع الجميع ويذكرون ما لديهم ، ونفرق نحن فى العمل .

ـ ومع ذلك فاننى اهتديت الى السائق ، وسوف اهتدى الى سائق مدام ميجريه هو الآخر .

حشى القوميسير غليونه من جديد وفتح الباب . لم يكن هناك اى مفتش . كانوا جميعهم فى مكان ما يهتمون بالفلمندى .

ـ هل استقر رايك ؟

ـ اظن ذلك .

ولكنه لم يدخل مكتبه . بل غادر ادارة البوليس واستدعى سيارة اجرة وقال السائق :

ـ اذهب بى الى ناصية شارعى تورين وجران بورجوا .

اما اهالى الحى انفسهم فلم يسبق لهم ان شهدوا مثل هذا الحفل من قبل ، فقد ظهرت اسماؤهم كلهم ، الواحد بعد الآخر فى

الجرائد . كان يكفى ان يذهب التجار والعمال الى مقهى تورين ليلتقوا برجال البوليس ، واذا اجتازوا الشارع فى طريقهم الى مطعم فوج الذى اشتهر بثيابه الابيض التقوا برجال الصحافة .

سألوهم مرارا وتكرارا عن رايهم فى ستوفيل وفى فرناند ، واستفسروا منهم عن حركاتهم وسكناتهم .

ولما لم تكن هناك جثة ، ولما لم يكن هناك غير سنتين فقط فلم تكن المسالة ماساوية ، وبدت القضية كانها لعبة .

وهبط ميجريه من السيارة امام مقهى تورين والقى نظرة داخل المقهى فلم يجد به احدا من رجال البوليس . وخطا بضع خطوات والفى نفسه امام ورشة التجليد ، وكان بابها منذ ثلاثة اسابيع مغلقا، ولم يكن هناك جرس ، فطرق الباب وهو يعرف ان فرناند لابد ان تكون بالداخل .

كانت تخرج فى الصباح ، كل يوم ، منذ القاء القبض على فرانز . كانت تخرج فى الساعة العاشرة ومعها ثلاثة اوعية يرتطم بعضها ببعض ، تضمها سلسلة حديدية تنتهى بقبضة .

كان ذلك طعام زوجها ، وكانت تذهب به كل يوم الى السجن راكبة الترام .

واضطر ميجريه الى ان يطرق الباب للمرة الثانية . ورآها تظهر فى السلم الذى يربط الورشة بالطابق السفلى ، وعرفته ، وتحولت لكى تكلم شخصا غير منظور ، ثم تقدمت وفتحت الباب اخيرا .

كانت تلبس خفا منزليا وترتدى مئزرة ذات مربعات . وان من يراها هكذا ، ممتلئة الجسم قليلا ولا تغطى وجهها بالاصباغ لا يمكن ان يعرف فيها تلك المراة التى كانت تتسكع فى الشوارع المجاورة لشارع سيف ستبول ، فقد كانت تبدو عليها كل سمات ربة البيت الممتازة ، ولم يكن هناك شك فى انها فى اوقاتها العادية ، امراة مرحة ، بشوشة .

سالته فى شىء من الاعياء : هل تريد ان ترانى ؟

ـ هل معك احد ؟

لم تجب . ومضى ميجريه الى السلم وهبط بضع درجات ، وما كاد ينحنى حتى قطب حاجبيه .

كانوا قد حدثوه قبل ذلك عن وجود الفونس فى النواحى ، وكان هذا الاخير يتناول المشروبات مع الصحفيين فى مطعم فوج متحاشيا وضع قدميه فى مطعم تورين .

كان واقفا فى المطبخ حيث يطش شىء على النار ، وكان يبدو كما لو كان المكان مألوفا لديه . ومع انه احس بالارتباك الا انه ابتسم ابتسامة ساخرة القوميسير . وقال هذا الاخير :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ كما ترى . اقوم بزيارة مثلك . هذا حقى . اليس كذلك ؟

كان الفونس يعمل فيما سبق فى البوليس الجنائى ، ولكن فى فرقة اخرى غير فرقة ميجريه . وكان قد انتمى لفترة طويلة الى بوليس الآداب ، حيث قيل له انه اصبح غير مرغوب على الرغم من انه كان يتمتع بحماية سياسية .

كان قصير القامة ، يلبس حذاء له كعب عال لكى يبدو طويلا ، ولعله كان يحشو حذاءه بالورق كما كان البعض يوعز بذلك ، وكان يرتدى دائما ثيابه فى عناية مبالغ فيها ويضع ماسة كبيرة فى اصبعه لم يكن احد يدرى ان كانت حقيقية او زائفة .

وقد افتتح له فى شارع نوتردام دى لويت مكتبا للاستقصاءات والتحريات الخاصة كان هو صاحبه والموظف الوحيد به فى نفس انوقت ، لا تعينه غير سكرتيرة لم تكن فى الواقع غير عشيقة له . وكانت ترى معه ليلا فى الملاهى الليلية .

وعندما ابلغوا ميجريه بوجوده فى مقهى تورين حسب القوميسير فى بادىء الامر ان المفتش السابق يحاول تصيد بعض الانباء لبيعها للجرائد ولكنه لم يلبث ان اكتشف انه يعمل لحساب فيليب ليوتار .

وكانت هذه اول مرة يلتقى به فيها فصاح به : انى انتظر .

ـ ماذا ؟

ـ أن تغادر المكان .

ـ هذا امر يدعو الى الاسف لاننى لم افرغ بعد .

ـ كما تشاء .

وتظاهر ميجريه بانه يتجه نحو باب المحل فاسرع الآخر يقول :

ـ ماذا ستفعل ؟

ـ سأستدعى احد رجالى واصدر اليه تعليماتى بأن يتعقبك ليلا ونهارا ، وهذا عمل من حقى .

ـ حسنا . لا بأس . لا داعى للغضب يا مسيو ميجريه .

ومضى الى السلم كما يفعل الاوباش وهو يغمز بعينه لفرناند . وقال ميجريه :

ـ هل يكثر من المجىء ؟

ـ هذه هى المرة الثانية .

ـ أنصحك بأن تكونى منه على حذر .

ـ اننى أعلم ... فاننى أعرف هؤلاء الناس .

هل كانت تشير بقولها هذا الى ذلك الوقت الذى كانت تتبع فيه بوليس الآداب ؟

ـ كيف حال ستوفيل ؟

ـ لا بأس .. انه يقرأ طوال النهار .. وهو مطمئن .

ـ ما هى الكتب التى يقرأها الآن ؟

ـ انه يعيد قراءة مؤلفات مارسل بروست كلها .

ـ وهل قرأتها انت ؟

ـ نعم .

اذن فقد ثقف ستوفيل زوجته بعد أن انتشلها من حياة الليل .

ـ تخطئين اذا حسبت اننى آت لزيارتك كعدو . انك تعرفين الموقف مثلى تماما .. وانا اريد ان افهم ولكننى لم افهم شيئا حتى الآن .. وانت ؟

ـ انني واثقة .

ـ هل تحبينه ؟

ـ هذه كلمة لا تعني شيئا .. يجب البحث عن كلمة اخرى غيرها لا وجود لها في قاموس اللغة .

وكان قد صعد الى الورشة حيث صفت فوق المنضدة ، امام الفترينة ، ادوات التجليد . أما آلة الطباعة فكانت فوق المنضدة في العتمة ، وعلى الرفوف كتب تنتظر دورها في التجليد .

ـ كانت له عادات منتظمة ، اليس كذلك ؟ .. اود أن تذكري لي بقدر المستطاع كيف يقضي ايامه ؟

ـ سبق ان ألقوا على هذا السؤال .

ـ من ؟

ـ الاستاذ ليوتار .

ـ ألم يخطر لك ان مصلحة الاستاذ ليوتار قد لا تعني مصلحتك انت بالذات ؟ .. انه لم يكن معروفا منذ ثلاثة أسابيع ، وكل ما يبحث عنه هو احداث أكبر ضجة حول اسمه ولا يهمه في شيء أن يكون زوجك بريئا أو مذنبا .

ـ عفوا .. اذا استطاع أن يثبت براءته فسيكون في ذلك ذيوع صيته واستقرار سمعته .

ـ واذا تمكن من اطلاق سراحه من غير ان يستطيع اثبات براءته فسيكون في ذلك الدليل على خبثه ومكره ، وسيلجأ اليه الكثيرون وسيتكلمون عن زوجك فيقولون : « من حسن حظه ان ليوتار استطاع انقاذه » .. وبمعنى آخر فان ستوفيل سيبدو مذنبا ، وستزداد بذلك قيمة ليوتار ، فهل تفهمين هذا ؟

ـ ان فرانز يفهم ذلك .

ـ هل قال لك ذلك ؟

ـ نعم .

ـ انه لا يحب ليوتار .. فلماذا اختاره ؟

ـ انه لم يختره وانما ليوتار هو الذي ...

ـ لحظة واحدة .. انك نطقت الآن بشيء على جانب كبير من الاهمية .

ـ اعلم ذلك .

ـ هل تعمدت ذلك ؟

ـ ربما .. انني تعبت من كل هذه الضجة التي تثار حولنا ، واعرف مصدر هذا كله . ولا اظن انني اسيء الى موقف فرانز بما انطق به ..

ـ عندما اتى البريجادير لوكاس للتفتيش يوم ٢١ في نحو الساعة الخامسة لم ينصرف وحده وانما اصطحب زوجك معه .

قالت عاتبة : وقد استجوبته انت طوال الليل .

ـ هذه مهنتي . في ذلك الوقت لم يكن ستوفيل قد أقام لنفسه محاميا بعد لانه لم يكن يعرف انه سيبقى في السجن ، ولم يطلق سراحه بعد ، ولم يأت هنا الا برفقة المفتشين ، ولوقت قصير جدا . ولكنني عندما طلبت منه ان يوكل محاميا للدفاع عنه ذكر اسم الاستاذ ليوتار على الفور .

ـ انني افهم ما تعنيه .

ـ معنى هذا ان المحامي راى ستوفيل هنا قبل ان يأتي البريجادير .

ـ نعم .

ـ وقد تم ذلك بعد ظهر يوم ٢١ بين زيارة لابوانت والبريجادير ؟

ـ نعم .

ـ هل حضرت هذه المقابلة ؟

ـ كلا . كنت تحت ، اقوم بمهام البيت لانني كنت قد تغيبت ثلاثة أيام ..

ـ الا تعرفين ما دار بينهما من حديث ؟ .. الم يكن يعرف احدهما الآخر قبل ذلك ؟

ـ كلا .

ـ الم يتصل زوجك به تليفونيا لكي يستدعيه ؟

ـ لا اظن ذلك .

وكان بعض صبية الحي قد تجمعوا والصقوا جباههم بفترينة المحل .

وقال ميجريه :

ـ الا تفضلين ان نهبط تحت .

وتقدمته الى المطبخ ، ودلفا الى الشرفة التى لا نوافد لها . وكانت غرفة صغيرة نظيفة تدل على ذوق سليم ، بجدرانها رفوف مصفوفة بالكتب ، وبها مائدة صغيرة للطعام ، وفى احد اركانها منضدة صغيرة تستخدم كمكتب .

ـ سألتنى كيف يقضى يومه .. انه يغادر فراشه كل يوم ، فى السادسة صباحا صيفا وشتاء .. واول همه فى الشتاء هو ادارة جهاز التدفئة .

ـ ولماذا لم يكن الجهاز دائرا يوم ٢١ ؟

ـ لم يكن الجو شديد البرودة .. كان الثلج قد تساقط اياما متعاقبة ولكن الطقس تحسن بعد ذلك ، ولست انا ولا هو ممن يتأثرون من البرد بسرعة . ثم ان بالمطبخ موقد بالغاز يبعث ما يكفى من الدفء ، وفى الورشة موقد آخر يستخدمه فرانز فى اغراض التجليد . وقبل ان يغتسل كان يمضى فيشترى بعض الفطير من المخبز بينما اقوم انا باعداد القهوة ، ثم نتناول طعام الافطار .

« ثم يغتسل بعد ذلك ويباشر عمله على الفور . وكنت اغادر البيت فى الساعة التاسعة بعد ان افرغ من الجزء الاكبر من عملى لكى اشترى ما احتاج اليه من السوق .

ـ ألم يكن يخرج لتسليم ما يفرغ منه من المجلدات ؟

ـ كان يخرج نادرا ، فقد كان عملاؤه يأتونه بالكتب ثم يعودون لاسترادها . وعندما كان يضطر الى الخروج كنت ارافقه ، وكانت هذه هى المرات القليلة التى كنا نخرج فيها .

« ثم نتناول طعام الغداء فى منتصف الساعة الواحدة .

ـ وهل كان يعود الى مزاولة عمله بعد الفراغ من الغـــداء مباشرة ؟

ـ تقريبا . ولكن بعد ان يقف لحظة بباب المحل ريثما يدخن سيجارة لانه لم يكن يدخن أثناء العمل .

« وكان يستمر فى عمله حتى الساعة السابعة . واحيانا حتى السابعة والنصف . ولم أكن أعرف فى اية ساعة نتناول طعام العشا

أبدا . لانه كان يصر على أن يفرغ مما فى يديه قبل ذلك ، ثم يغلق الباب عندئذ ويغسل يديه . وبعد ان نفرغ من تناول العشاء كنا نقرأ فى هذه الغرفة حتى العاشرة أو الحادية عشرة .

« وذلك فيما عدا مساء الجمعة حيث كنا نذهب الى سينما سان بول .

ـ ألم يكن يشرب الخمر ؟

ـ كان يشرب كأسا واحدة كل ليلة ، بعد العشاء . كأسا صغيرة كانت تبقى أمامه ساعة كاملة لانه لم يكن الا ليبل شفتيه كل مرة .

ـ ويوم الاحد ؟ .. هل كنتما تذهبان الى الريف ؟

ـ أبدا . كان يكره الريف . كنا نقضى الوقت كله فى البيت . وكان يحاول القيام بكل شىء ، فهو الذى صنع هذه الرفوف ، وهو الذى قام بكل الاعدادات الموجودة فى البيت . وكنا نخرج بعد الظهر نتمشى فى حى جران بورجوا وفى جزيرة سان لويس ونتناول العشاء فى أغلب الاوقات فى مطعم صغير بجوار الجسر .

ـ هل هو بخيل ؟

اضطرم وجهها وترددت قبل ان ترد بسؤال آخر ، كما يفعل المرء حين يرتبك :

ـ لماذا تسألنى ؟

ـ انه يشتغل منذ أكثر من عشرين عاما ، أليس كذلك ؟

ـ انه اشتغل طوال عمره . كانت أمه فقيرة . وكان بائسا فى طفولته .

ـ ومع ذلك فهو يعتبر من اغلى المجلدين فى باريس ، ويرفض الطلبات ولا يسعى اليها .

ـ هذا صحيح .

ـ وكان يمكنكما أن تعيشا عيشة مريحة بما يجنيه وان تسكنا مسكنا حديثا ،بل كان فى مقدوركما اقتناء سيارة .

ـ لسنا بحاجة الى شىء .. ثم اننا نتناول ما لذ وطاب من الطعام .

ـ لا ريب أنكما لا تنفقان نصف ما يجنيه .

ـ اننى لا اهتم بالمسائل المالية .

ـ اكثر الرجال يشتغلون للوصول الى هدف معين ، فبعضهم يشتهون بيتا فى الريف والبعض يحلمون باعتزال العمل ، والآخرون يكرسون انفسهم من أجل أولادهم .. ألم يكن له أولاد .

ـ لا أستطيع الانجاب لسوء الحظ .

ـ وقبل أن يتزوجك ؟ ..

ـ كلا .. لم يكن متزوجا .. وكان يكتفى بما تعرفه انت ، وقد التقى بى بهذه الطريقة .

ـ وماذا يفعل بنقوده .

ـ لا ادرى .. لا ريب انه يستثمرها .

والواقع انهم وجدوا حسابا باسمه فى أحد البنوك .. كان يودع به كل أسبوع مبالغ غير جسيمة وتتفق مع تلك التى يجنيها من عمله .

ـ كان يشتغل حبا فى العمل .. انه رجل فلمندى ، وقد بدأت أفهم معنى هذا ، فانه كان يقضى الساعات الطويلة يعالج مجلدا واحدا لكى يخرج من بين يديه عملا متقنا .

كان الامر غريبا ، كانت تتكلم عنه احيانا بصيغة الماضى كما لو ان جدران السجن قد عزلته عن العالم ، وأحيانا بصيغة الحاضر كما لو كان سيعود ما بين لحظة وأخرى .

ـ هل بقى على صلة بعائلته ؟

ـ انه لم يعرف أباه قط ، وقد رباه عم به عهد به فى حداثته الى الملاجىء الخيرية ، وكان هذا من حسن حظه لانه تعلم مهنته هذه هناك كانوا يقسون فى معاملته فى الملجأ ، ولم يكن يحب أن يشير الى هذه الحقبة من حياته .

لم يكن هناك منفذ آخر للمسكن غير باب المحل . ولبلوغ الفناء كان لابد من الخروج الى الشارع واجتياز القبة ، أمام غرفة البواب .

وكان من الامور العجيبة فى ادارة البوليس الاستماع الى لوكاس وهو ينطق بكل هذه الاسماء التى كانت تختلط على ميجريه ، فهناك

مدام سالازار ، البوابة والآنسة بيجان التى تقيم بالدور الرابع ، والاسكافى وتاجر المظلات ، وبائعة اللبن وخادمتها . كان يتكلم عن كل هؤلاء كما لو كان يعرفهم منذ وقت طويل ، وكان يذكر عادات كل واحد منهم على حدة .

ـ ماذا تعدين له من الطعام غدا ؟

ـ يحنى يلحم الضان ، فهو يحب الطعام الجيد ، ويبدو انك كنت تريد ان تسال منذ قليل عن هويته فيما عدا العمل ... ان هويته الوحيدة هى الاكل بالتاكيد ، وعلى الرغم من انه كان يقضى طوال اليوم جالسا ومن انه لم يكن يقوم باية تمارين رياضية فاننى لم ار رجلا له مثل شهيته .

ـ الم يكن له اصدقاء قبل ان يعرفك ؟

ـ لا اظن . انه لم يحدثنى ابدا فى هذا الموضوع .

ـ هل كان يقيم هنا فى ذلك الوقت ؟

ـ نعم . وكان يخدم نفسه . وكانت مدام سالازار تاتى مرة كل اسبوع لتنظيف البيت . ولعل السبب فى انها لم تشعر نحوى بأى ميل ابدا يرجع الى انه لم يعد يحتاج اليها .

ـ هل يعرف الجيران ؟

ـ هل تعنى ان كانوا يعرفون ماذا كنت افعل قبل ان يتزوجنى ؟.. كلا . او بمعنى أصح لم يكن احد منهم يعرف شيئا عن ذلك قبل القاء القبض عليه ، فقد تحدثت الجرائد عن الموضوع .

ـ هل فترت معاملتهم لك ؟

ـ بعضهم . ولكن فرانز كان محبوبا بحيث انهم يميلون الآن الى الرثاء علينا .

ـ ماذا كان الفونسى يريد ؟

ـ لم يسعفه الوقت لكى يعرب لى عن ذلك . كان قد جاء لتوه عندما قدمت انت . واست احب طريقته فى القدوم الى هنا كما لو كان ياتى الى محل عام وقبعته فوق راسه . ولا احب كذلك ان يخاطبنى باسمى المجرد رافعا كل كلفة . لو ان فرانز كان هنا لالقاه خارج البيت على الفور .

ـ اهو غيور ؟
ـ انه لا يحب رفع الكلفة .
ـ هل يحبك؟
ـ اظن ذلك .
ـ لماذا ؟
ـ لا ادرى . ربما لاننى احبه .

لم يبتسم . ولم يكن قد احتفظ بقبعته فوق راسه كما فعل الفونسى ، ولم يقس فى معاملته لها أو يمكر عليها .

والواقع انه كان يبدو فى هـذه الغرفة التحتية كرجل يحاول ان يفهم بكل صدق وشرف .

ـ لن تقولى شيئا من شانه أن ينقلب ضده طبعا ؟
ـ كلا ، بالتأكيد . ثم انه ليس لدى ما أذكره فى هذا الصدد .
ـ ومع ذلك فان من الواضح ان رجلا ما قتل فى هذه الغرفة .
ـ ان الخبراء يؤكدون ذلك ، وليس لدى معلومات كافية لكى اخالفهم . وعلى كل حال فان فرانز لم يقتل احدا .
ـ ولكن يبدو ان من المحال أن يكون ذلك قد حدث دون علمه .
ـ اننى اعرف ما تريد ان تقول ، ولكننى اعود فاقول انه برىء .

ـ نهض ميجريه وهو يتنهد . كان مسرورا لانها لم تقدم له أى مشروب كما يظن اكثر الناس انه لابد لهم أن يفعلوا فى مثل هذه الظروف . واعترف قائلا :

ـ اننى احاول ان ابدأ من جديد . كانت نيتى وأنا قادم هنا ان أفتش المكان شبرا شبرا .
ـ أولا تريد أن تفعـل الآن ؟ .. انهم قلبوا كل شىء أكثر من مرة .
ـ ليست لدى الجراة . قد أعود فيما بعد . قد احتاج الى استجوابك من جديد .
ـ انك تعرف اننى اعيد على فرانز كل ما يقع عندما ازوره .
ـ نعم . اننى افهمك .

ومضى الى السلم الضيق . وتبعته الى الورشة التى اصبحت

معه . وفتحت له الباب . وراى كل منهما الفونسى ينتظر فى آخر الشارع .

ـ هل تستقبلينه من جديد ؟

ـ انى اتساءل .. فانى منعبة .

ـ هل تريدين ان اصدر اليه امرى بأن يدعك وشانك ؟

ـ الليلة على كل حال .

ـ طابت ليلتك .

ردت اليه تحيته . ومشى فى تثاقل نحو المفتش السابق بادارة بوليس الآداب . وعندما لحق به فى آخر الشارع كان هناك صحفيان يراقبان من خلال زجاج مقهى فوج .

ـ امض .

ـ لماذا ؟

ـ لا شىء . لانها لا تريد ان تزعجها ثانيا الليلة . هل تفهم ؟

ـ لماذا تقسو على هكذا ؟

ـ لان وجهك لا يروق لى ، وهذا كل شىء .

واولاه ظهره ، وانساق مع التقليد المتبع فدخل مقهى تورين لكى يتناول كاسا من البيرة .

(٣)

الغرفة المفروشة

كانت الشمس لا تزال تسطع ولكن بشيء من البرودة والجفاف يجعل البخار يتصاعد من بين الشفاه ويجمد أطراف الاصابع . ومع ذلك فقد وقف ميجريه بجوار سائق الاوتوبيس يزمجر تارة ويبتسم اخرى على الرغم منه وهو يقرأ جريدة الصباح .

كان قد هبط من بيته مبكرا ، ولم تكن الساعة قد بلغت الثامنة والنصف بعد عندما دخل مكتب المفتشين . وكان جانفييه جالسا فوق أحد المكاتب يقرأ الجريدة بصوت مرتفع فما كاد يراه حتى هبط عن المكتب مسرعا وهو يحاول اخفاء الجريدة .

كانوا خمسة من المفتشين أو ستة ، وكانوا كلهم من الشبان ينتظرون أن يعهد لوكاس اليهم بعمل اليوم . وتجنبوا النظر الى القوميسير ، وان كان بعضهم قد راحوا يختلسون النظر اليه وهم يحاولون الاحتفاظ بهدوئهم بشق النفس .

وما كان بمقدورهم ان يعرفوا أن المقال قد اطربه بقدر ما أطربهم وانه رأى ان يرضيهم متظاهرا بالسخط والحنق كما كانوا يتوقعون منه ذلك .

كان العنوان يشغل ثلاثة أعمدة من الصفحة الاولى ، وكان هذا نصه :

« مغامرة مزعجة لمدام ميجريه »

وسردت الجريدة المغامرة التى وقعت لزوجة القوميسير أمس بميدان دانفر بكل تفاصيلها ، ولم يكن ينقصها الا صورة مدام ميجريه نفسها وصورة الطفل الذى تركته السيدة الغامضة معها .

ودفع باب لوكاس . وكان قد قرا المقال هو الآخر ، ولكن كان لديه من الاسباب ما يحمله على النظر الى الامر بجدية اكثر .

ـ أرجو الا تكون حسبت ان هذا الخبر قد تسرب منى ، فاننى دهشت هذا الصباح وانا افتح الجريدة . والواقع اننى لم اتحدث مع اى صحفى ، فاننى ، بالامس ، وبعد لحظات قلائل من حديثى معك اتصلت تليفونيا بلامبال بالدائرة التاسعة ، ورويت له القصة ولكن من غير أن أذكر له ان الامر يتعلق بزوجتك ، وكلفته بأن يبحث عن سيارة الاجرة . وبهذه المناسبة ، أخبرنى الان بأنه وجد السائق المذكور بصدفة عجيبة وهو يبحث به الينا ، وسيكون هنا بعد بضع دقائق .

ـ هل كان بمكتبك أحد عندما تكلمت مع لامبال .

ـ على الارجح . . . فالمكتب لا يخلو ابدا ، ثم ان باب مكتب المفتشين كان مفتوحا . . ولكن من منهم ؟ . . انه ليروعنى ان افكر ان هناك من ينقل المعلومات .

ـ اننى شككت فى ذلك أمس ، فقد تسربت بعض الانباء من هنا يوم ٢١ فبراير ، لانك عندما ذهبت الى شارع تورين لتفتيش بيت المجلد كان فيليب ليوتار على علم بذلك .

ـ ومن الذى أخبره ؟

ـ لا ادرى . لا يمكن ان يكون قد علم بذلك الا عن طريق شخص ما من ادارة البوليس .

ـ ألهذا السبب اختفت الحقيبة عندما ذهبت هناك ؟

ـ احتمال كبير .

ـ اذا كان الامر كذلك فلماذا لم يخفوا البذلة الملوثة بالدم هى الاخرى .

ـ ربما نسوا امرها او ربما خطر لهم اننا لن نتمكن من تحديد طبيعة البقع ، ولعل الوقت لم يسعفهم لذلك .

ـ اتريد ان استجوب المفتشين ايها الرئيس ؟

ـ سأتولى انا ذلك .

ولم يكن اوكاس قد فرغ بعد من فض البريد المكدس فوق المنضدة الكبيرة التى اتخذها مكتبا له .

ـ هل هناك ما يستحق الاهتمام ؟

ـ لا ادرى بعد . يجب ان اتحقق . هنـاك معلومات كثيرة عن الحقيبة بالذات .. رسالة من غير توقيع تقول انها ما زالت موجودة بشارع تورين ، واننا لابد اصبنا بالعمى حتى لم نرها . واخرى تقول ان عقدة القضية فى كونـكارنو . ورسالة من خمس صفحات بخط دقيق يقول صاحبها ، مدعما قوله بالأدلة والاسانيد ، ان الحكومة هى التى اختلقت القصـة من اولها لتحـول اهتمام الناس عن غلاء المعيشة .

مضى ميجريه الى مكتبه وخلع قبعته ومعطفـه ، وعلى الرغم من اعتدال الجو فقد ملأ بالفحم المدفأة الوحيدة التى ما زالت موجودة بادارة البوليس والتى وجد صعوبة كبيرة فى الاحتفاظ بها عند ادخال التدفئة الكهربائية .

وفتح باب مكتب المفتشين ونادى الشاب لابوانت . وكان قـد قدم لتوه ، وقال له :

ـ اجلس .

وأغلق الباب بعناية كبيرة ثم طلب من الشـاب للمرة الثـانية ان يجلس ، ودار حوله مرة أو مرتين وهو يرميه بنظـرات غريبة ثم سأله قائلا :

ـ هل أنت طموح ؟

ـ نعم يا سيدى القوميسير .. أود أن أنجح مثلك وهذا غرور طبعا ... أليس كذلك ؟

ـ هل اهلك أثرياء ؟

ـ كلا . ان أبى موظف بأحد المصارف بمولان ، وقد لقى مشقة كبيرة فى تربيتنا ، أنا واخوتى ، بما يليق .

ـ هل أنت عاشق ؟

لم يضطرم وجه الشاب وقال : كلا . ليس بعد .. فانا ما زلت في الرابعة والعشرين ، ولا اريد ان اتزوج قبل ان اضمن مستقبلي .

ـ هل تعيش وحدك في غرفة مفروشة ؟

ـ كلا . لحسن الحظ ، فان اختي الصغيرة جرمين تعيش في باريس ، هي الاخرى . وهي تعمل باحدى دور النشر في الضفة الشمالية . ونحن نعيش معا . وفي المساء ، يسمح لها وقتها بأن تعد طعامنا .. ففي هذا شيء من الوفر .

ـ هل لها عاشق ؟

ـ انها ما زالت في الثامنة عشرة من عمرها .

ـ عندما ذهبت الى شارع تورين اول مرة ، هل عدت هنا على الفور ؟

احمر وجهه فجأة وتردد لحظة طويلة قبل أن يرد ويقول : كلا . كنت فخورا وسعيدا لانني اكتشفت شيئا بحيث أخذت سيارة أجرة واسرعت الى شارع دوباك لكي اخبر جرمين بما حدث .

ـ حسنا يا صغيري ... شكرا لك .

انزعج لابوانت . وبدا عليه القلق وتردد في الخروج وقال : لماذا سألتني ؟

ـ أنا الذي أسأل ، أليس كذلك ؟ .. اما أنت فربما تلقى الاسئلة بدورك فيما بعد . هل كنت موجودا في مكتب البريجادير لوكاس أمس ، عندما اتصل بالدائرة التاسعة ؟

ـ كنت في المكتب المجاور ، وكان الباب مفتوحا .

ـ في اية ساعة تحدثت مع اختك ؟

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ أجب .

ـ انها تفرغ من عملها في الساعة الخامسة ، وقد انتظرتني كما يحدث غالبا في بار « لاجروس هورلوج » ، وتناولنا كأسا من الشراب قبل ان نعود الى البيت .

ـ الم تفارقها في تلك الليلة ؟

ـ انها ذهبت الى السينما مع صديقة لها .

ـ وهل رايت الصديقة ؟

ـ كلا . ولكننى اعرفها .

وقد اراد القوميسير ان يفسر له السبب فى هذا الاستجواب ، ولكن نمى الى علمه فى هذه اللحظة بالذات ان سائق سيارة اجرة يريد ان يراه . وكان رجلا ضخما ، أحمر الوجه ، فى الخمسين من عمره ، لا ريب أنه كان حوذيا فى شبابه ، ويبدو من الرائحة التى تنبعث من فمه انه تناول بضعة كئوس من النبيذ قبل قدومه .

ـ قال لى المفتش لامبال ان آتى اليك بخصوص السيدة الصغيرة.

ـ كيف عرفت انك انت الذى ركبت معه السيدة ذات القبعة البيضاء .

ـ اننى أقف عادة فى ميدان بيجال ، وقد اتى لكى يتحدث معى مساء أمس ، وسأل الجميع ، واخبرته بأننى انا الذى اوصلتها .

ـ فى أية ساعة ؟ .. واين ؟ ..

ـ كان ذلك حوالى الساعة الواحدة ، وكنت قد فرغت من تناول طعامى فى مطعم شارع ليبيك . وكانت سيارتى بالباب . ورايت رجلا وامراة يخرجان من الفندق المقابل ، وقصدت المراة سيارتى على الفور ، وبدا عليها الكدر عندما رأت الراية السوداء فوق العداد . وكنت قد تناولت كأسا من النبيذ بعد ان فرغت من القهوة فنهضت وصحت بها ان تنتظر .

ـ وكيف كان زميلها ؟

ـ رجل بدين الجسم ، قصير ، أنيق الثياب ، يبدو اجنبيا ؛ بين الاربعين والخمسين من عمره . ولكننى لا أدرى بالضبط ، فانى لم أمعن النظر اليه . فقد كان موليا ظهره لى ، وكان يتحدث معها بلغة اجنبية .

ـ أية لغة .

ـ لا أدرى .

ـ وما هو العنوان الذى ذكرته لك .

ـ كانت شديدة الانفعال ، نافدة الصبر ، طلبت ان اذهب اولا الى ميدان دانفر وان ابطىء . وكانت تنظر من باب السيارة . وقالت لى عندئذ « قف لحظة ثم انطلق بمجرد ان اقول لك ذلك » واشارت بيدها فدنت منها امراة متقدمة فى السن وبرفقتها طفل صغير ، وصعدت السيدة الباب واركبت الطفل معها ثم طلبت منى ان انطلق .

ـ ألم يبد لك هذا الامر كما لو كان اختطافا ؟

ـ كلا . لانها تحدثت مع المراة . تبادلت معها بضع كلمات ، وبدا على هذه الاخيرة الارتياح .

ـ واين ذهبت بالام والطفل ؟

ـ الى بوابة نولى فى البداية ، وهناك غيرت رايها وطلبت منى ان امضى بها الى محطة سان لازار .

ـ وهل نزلت هناك ؟

ـ كلا . وانما اوقفتنى فى ميدان اوجستان ، وقد اضطررت ان انتظر لحظة بسبب الزحام ، واستطعت ان ارى من خلال المرآة انها استقلت سيارة اجرة اخرى لم اتمكن من التقاط رقمها .

ـ وهل اردت ذلك ؟

ـ بسبب العادة ، فقد كانت شديدة الانفعال ، ولم يكن امرا طبيعيا أن تطلب منى ان اذهب الى محطة سان لازار بعد ان مضيت بها الى بوابة نولى ، وان تهبط فى ميدان سان اوجستان لكى تستقل سيارة اجرة اخرى .

ـ هل تحدثت مع الطفل فى الطريق ؟

ـ خاطبته بعبارة او عبارتين لكى يلزم الهدوء . هل هناك مكافاة ؟

ـ ربما . لست ادرى بعد .

ـ ذلك ان اليوم ضاع منى .

اعطاه ميجريه ورقة ماليه . وبعد دقائق كان يدفع باب غرفة مدير البوليس الجنائى حيث بدا « تقريره » . وكان رؤساء الاقسام مجتمعين حول المكتب الكبير ، يتحدثون فى هدوء عن الاعمال الجارية .

ـ وانت يا ميجريه ؟ .. ماذا تم بخصوص ستوفيل ؟

كان واضحا من ابتساماتهم انهم قراوا مقال الصباح . ومرة اخرى، ولكى يطربهم تظاهر بالسخط والغضب .

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة والنصف ، وارتفع صليل جرس التليفون فرد المدير وناول السماعة لميجريه وهو يقول :

ـ تورينس ويريد أن يتحدث اليك .

وكان صوت تورينس فى آخر الخط يتهدج من الانفعال : اهذا أنت أيها الرئيس ؟ .. ألم تعثر على السيدة ذات القبعة البيضاء ... جاءت جريدة باريس وقرات المقال ، والوصف ينطبق على امراة اهتديت الى أثرها هنا .

ـ تكلم .

ـ عندما رأيت انه ليس هناك سبيل مع موظفة البريد التى تزعم أنها لا تتذكر شيئا ، رحت ابحث فى الفنادق والغرف المفروشة ، وأستجوب أصحاب الجاراجات وموظفى المحطة .

ـ حسنا ؟

ـ لسنا فى موسم الاصطياف بعد ، واغلب الذين يأتون الى كونكارنو من سكان المنطقة أو من التجار المعروفين و ...

ـ أوجز .

ذلك لان الحديث كان قد انقطع حوله .

ـ خطر الى انه اذا كان قد قدم أحد من باريس أو من اى مكان آخر لكى يرسل البرقية من هنا ...

ـ تصور اننى فهمت ما تريد أن تقول .

ـ حسنا . هناك سيدة ترتدى تايرا أزرق وقبعة بيضاء جاءت هنا فى نفس الليلة التى أرسلت فيها البرقية ، وهبطت من القطار فى الساعة الرابعة ، وقد أرسلت البرقية فى الخامسة والربع .

ـ هل كان معها حقائب ؟

ـ كلا . انتظر انها لم تذهب الى الفندق . . هل تعرف مطعم « الكلب الاصفر » فى آخر الرصيف ؟ .. انها تناولت العشاء فيه ، ثم لبثت جالسة فى مقعد بقاعة المقهى حتى الساعة الحادية عشرة ...

أى انها عادت بقطار الحادية عشرة والدقيقة الاربعين .

ـ هل تأكدت من ذلك ؟

ـ لم يسعفنى الوقت بعد . ولكننى واثق من ذلك ، لانها غادرت المقهى فى الوقت المناسب ، وطلبت دليل السكة الحديدية بعد ان فرغت من عشائها على الفور .

ـ هل تبادلت الحديث مع احد ما ؟

ـ مع الجرسونة فقط .. وظلت تقرأ دون انقطاع ، حتى وهى تأكل .

ـ ألم تستطع أن تعرف أى نوع من الكتب كانت تقرأ .

ـ كلا . ان الجرسونة تقول انها تتكلم بلكنة غريبة ، ولكنها لا تعرف كنهها بالتدقيق . ماذا يجب أن أفعل ؟

ـ عد الى موظفة البريد طبعا .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ كلمنى فى التليفون أو كلم لوكاس اذا لم أكن بالمكتب ثم عد .

ـ حسنا أيها الرئيس . هل تظن أنها هى ؟

أعاد ميجريه السماعة . وفى عينيه وميض المرح ثم قال : لعل مدام ميجريه هى التى ستقودنا الى مفتاح القضية . هل تسمع يا سيدى المدير ؟ أريد أن أقوم بنفسى ببعض التحريات العاجلة .

ولحسن الحظ كان لابوانت لا يزال فى مكتب المفتشين . وكان بادى الانزعاج ، فقال له :

ـ تعال معى .

واستقلا احدى سيارات الاجرة التى تقف أمام الادارة . وكان لابوانت الشاب لا يزال منزعجا ، فقد كانت هذه أول مرة يأخذه القوميسير معه بهذه الطريقة .

ـ ناصية شارعى بلانش وليبيك .

وكان حى مونمارتر وشارع ليبيك يزدحمان عادة فى مثل هذه الساعة بعربات الباعة المتجولين الذين يبيعون الثمار والخضروات ، والذين يقفون على جانبى الطريق . ورأى ميجريه المطعم الصغير الذى

تناول فيه السائق غذاءه وامامه فندق بوسيجود ، ولم يكن ظاهر
منه غير بابه الضيق ، بين محل للجزارة ومحل للبقالة .
« غرف للايجار بالشهر والاسبوع واليوم
اسعار معتدلة »

وكان هناك باب زجاجى فى آخر الدهليز ، ثم سلم عليه لافت
مكتوب عليها كلمة « مكتب » ويد مرسومة بالاسود تشير الى اعلى
السلم .

وكان المكتب يقع فى دور منخفض فوق الدور الارضى ، وهو
عبارة عن غرفة ضيقة تطل على الشاطىء بها لوحة معلق عليها بعض
المفاتيح :

وصاح : اما من أحد .

واعادت الرائحة الى ذاكرته ذلك الوقت الذى كان فيه فى مثل
سن لابوانت تقريبا والذى كان يعمل فيه فى بوليس الفرف المفروشة
حيث كان يقضى ايامه فى الطواف بالفرف المفروشة . كانت تلك
الرائحة عبارة عن رائحة الفسيل والعرق فى نفس الوقت ، ورائحة
انسرائر التى لم ترتب بعد وجرادل الماء والطبيخ الذى يعد على
مواقد الفاز .

وظهرت بأعلى السلم امرأة شقراء وصاحت : ما الخبر ؟

ولكنها لم تلبث ان ادركت على الفور أنها أمام البوليس فقالت
فى غلظة :

ـ اننى قادمة .

وقضت بعضـــــا من الوقت وهى تمشى فوق وتنقل الجـرادل
والمكانس ، وهبطت أخيرا وهى تزرر مئزرتها على صدرها البارز .
واتضح عن كثب أن شعرها أبيض تقريبا عند الجذور .

ـ ما الخبر ؟ .. انكم فحصتم دفاترى أمس وليس لدى غير
نزلاء عاديين ، ولكنكما لستما من بوليس الفرف المفروشة . اليس
كذلك ؟

ومن غير ان يرد وصف لها بقدر ما سمحت له شهادة السائق رفيقه
السيدة ذات القبعة البيضاء وقال :

ـ هل تعرفينه ؟

ـ ربما . لست واثقة .. ما اسمه .
ـ هذا ما اريد أن أعرفه منك انت بالذات .
ـ هل تريد أن ترى السجل ؟
ـ بل اريد أن أعرف أولا اذا كان لديك نزيل يشبهه .
ـ لا أرى غير مسيو ليفين .
ـ ومن هو ؟
ـ لا أدرى .. انه رجل لا غبار عليه .. دفع اسبوعا مقدما على كل حال .
ـ أما زال هنا ؟
ـ كلا . انه غادرنا امس .
ـ وحده ؟
ـ مع الطفل بالطبع .
ـ والسيدة ؟
ـ هل تعنى الممرضة ؟
ـ لحظة . سوف نبدأ من البداية ، وبهذا نكسب بعض الوقت .
ـ هذا أفضل ، لاننى مشغولة جدا . ماذا فعل مسيو ليفين ؟
ـ اجيبى على اسئلتى .. متى أقبل ؟
ـ منذ أربعة ايام . ويمكنك ان تتحقق من السجل . قلت له انه ليست لدى غرف شاغرة ، وكان هذا صحيحا ، ولكنه اصر فسألته عندئذ كم يوما يريد ان يبقى فأجابنى بأنه سيدفع أسبوعا مقدما .
ـ وكيف استطعت ايواءه وليست لديك غرف شاغرة .

كان ميجريه يعرف الرد ، ولكنه اراد أن يسمعه منها ، ففى مثل هذه الفنادق يحتفظون فى أغلب الاوقات ببعض غرف الدور الاول للعشاق وطلاب اللذة الذين يقضون فيها بضع لحظات لا تتجاوز الساعة .

واجابت المرأة مستخدمة الاصطلاح المعروف : هناك دائما بعض الغرف نحتفظ بها للطوارىء .

ـ وهل كان الطفل معه ؟

ـ لم يكن معه فى ذلك الوقت . ولكنه مضى لكى يأتى به ، وعاد بعد ذلك بساعة . وقد سألته كيف سيتصرف ومعه هـذا الطفل فأجابنى بأن ممرضة من معارفه ستعنى به الجزء الاكبر من اليوم .

ـ هل اراك جواز سفره وبطاقته الشخصية ؟

كان يجب ، طبقا للقانون أن تطلب منه هذه المستندات ، ولكنها لم تفعل طبعا . وقالت :

ـ انه ملأ بطاقته بنفسه ، وقد رأيت على الفور انه رجل محترم ، ولا اظن انك ستخلق لى متاعب لهذا السبب .

ـ كلا . ماذا كانت ترتدى الممرضة ؟

ـ تايرا ازرق .

ـ وقبعة بيضاء ؟

ـ نعم . كانت تأتى فى الصباح فتعنى بالطفل ثم تخرج به .

ـ ومسيو ليفين ؟

ـ كان يبقى فى غرفته حتى الحادية عشرة او حتى الظهر ، واظن كان يعـود فينـام من جديد ثم يخرج ولا اراه بعـد ذلك طـوال النهار .

ـ والطفل ؟

ـ ولا الطفل كذلك . لم اكن اراهما قبل الساعة السابعة مساء . وكانت هى التى تعود به وتعنى به الى أن ينام وكانت تستلقى بثيابها فوق الفراش وتنتظر عودة مسيو ليفين .

ـ ومتى كان يعود ؟

ـ ليس قبل الواحدة صباحا .

ـ وهل كانت تنصرف عندئذ ؟

ـ نعم .

ـ ألا تعرفين أين تقيم ؟

ـ كلا . كل ما أعرفه انها كانت تستقل سيارة أجرة عند خروجها لاننى رايتها تفعل ذلك .

ـ هل كانت وثيقة الصلة به ؟

ـ اتريد ان تعـــرف ان كان يعاشرها معاشرة الازواج ؟ لست متاكدة . ولكن طبقا لبعض الدلائل اظن ان هذا قد حدث ..

ـ وما هى الجنسية المسجلة على بطاقته ؟

ـ الفرنسية . قال لى انه فى فرنسا منذ مدة طويلة ، وانه تجنس بالجنسية الفرنسية .

ـ ومن اين اتى ؟

ـ لا اتذكر . ان زميلك ببوليس الفرف المفروشة اخذ البطاقات امس ، كما يفعل كل يوم ثلاثاء .. اظن انه من بوردو على ما اعتقد .

ـ وماذا حدث ظهر امس ؟

ـ ظهر امس ؟ .. لا ادرى .

ـ وفى الصباح ؟

ـ اقبل شخص فطلبه فى الساعة العاشرة . وكانت السيدة قد خرجت بالطفل منذ وقت طويل .

ـ ومن ذلك الشخص ؟

ـ لم أسأل عن اسمه .. رجل زرى الهيئة ، رث الثياب .

ـ فرنسى ؟

ـ بالتأكيد . وقد ذكرت له رقم الغرفة .

ـ الم يسبق له ان أتى قبل ذلك ؟

ـ لم يأت اليه أحد فيما عدا الممرضة .

ـ هل كان يتكلم بلهجة اهل الجنوب ؟

ـ بل كانت له لهجة الباريسيين . انه واحد من هؤلاء الرجال الذين يعترضون طريقك لـكى يبيعونك صورا خليعة أو لكى يمضوا بك الى مكان موبوء .

ـ وهل بقى مدة طويلة ؟

ـ انه بقى وحده فى حين غادر مسيو ليفين الغرفة .

ـ ومعه امتعته ؟

ـ كيف عرفت ذلك ؟ لقد ادهشنى ان ينصرف حاملا امتعته .

ـ وهل كانت كثيرة ؟

ـ اربع حقائب .

ـ سمراء ؟

ـ ان اكثر الحقائب سمراء ، اليس كذلك ؟ .. كانت من النوع الجيد على كل حال ، منها حقيبتان من الجلد الحقيقى .

ـ وماذا قال لك ؟

ـ انه مضطر الى الرحيل عاجلا ، وانه سيغادر باريس فى نفس اليوم ، ولكنه سيعود فيما بعد لكى يأخذ حاجيات الطفل .

ـ ومتى عاد ؟

ـ بعد ذلك بنحو ساعة ، وكانت السيدة معه .

ـ ألم يدهشك الا ترى الطفل ؟

ـ هل تعرف هذا ايضا ؟

وبدات تأخذ حذرها لانها بدات تشك فى ان الامر كان على جانب من الاهمية ، وان البوليس يعرف عنه اكثر مما يريد ميجريه ان يقول فقالت :

ـ لقد مكث ثلاثتهم مدة لا باس بها فى الغرفة ، وكانوا يتكلمون بصوت مرتفع .

ـ كما لو كانوا يتشاجرون ؟

ـ بل كما لو كانوا يتجادلون .

ـ باللغة الفرنسية ؟

ـ كلا .

ـ وهل اشترك الباريسى فى الحديث ؟

ـ قليلا . على انه كان اول من غادر الغرفة ، ولم اره بعد ذلك ، ثم انصرف مسيو ليفين والسيدة بدورهما . والتقى بى وهو خارج فشكرنى واخبرنى بأنه منصرف وانه سيعود بعد بضعة أيام .

ـ ألم يبد لك ذلك غريبا ؟

ـ لو انك تدير فندقا كهذا ، منذ ثمانية عشر عاما فلا يمكن ان يثير دهشتك اى شىء .

ـ هل انت التى اعددت الغرفة بعد رحيله ؟

ـ اعددتها انا والخادمة .

ـ الم تعثرى على شىء ما ؟

ـ بقايا سجاير فى كل مكان . كان يدخن اكثر من خمسين سيجارة فى اليوم . وكان يشترى جميع الجرائد التى تصدر فى باريس تقريبا .

ـ الم يشتر جرائد اجنبية ؟

ـ كلا . وقد فكرت فى ذلك .

ـ كنت تشعرين بالدهشة والحيرة اذن ؟

ـ ان المرء يحب ان يعرف كل شىء .

ـ وماذا غير ذلك ؟

ـ قذارات كالمعتاد .. مشط مكسور وملابس ممزقة .

ـ هل عليها علامات مميزة ؟

ـ كلا . كانت كلها للطفل .

ـ اهى من نوع غال ؟

ـ بل متوسطة ... أكثر رقة مما اعتدت ان أراه هنا .

ـ سأعود لزيارتهم فيما بعد .

ـ لماذا ؟

ـ لان هناك تفاصيل قد لا تذكرينها الآن ، وقد تعود حتما الى ذاكرتك بعد امعان الروية والتفكير . هل انت على صلات ودية مع البوليس ؟ .. الا يسبب لك بوليس الفرف المفروشة أية متاعب ؟

ـ فهمت . ولكننى لا اعلم اى شىء آخر .

ـ الى اللقاء .

وخرج هو ولابوانت الى اشعة الشمس وضوضاء الشارع وقال القوميسير :

ـ هل لك فى كأس ؟

ـ اننى لا اشرب ابدا .

ـ هذا احسن . هل فكرت فى الامر ؟

ـ ادرك الشاب انه لا يساله رايه عما سمع فى الفندق المفروش ، واجاب : نعم .

ـ اذن ؟

ـ سأتحدث معها الليلة .

ـ هل تعرف من هو ؟

ـ لى صديق صحفى يعمل فى الجريدة التى صدر فيها هذا المقال بالذات . ولكننى لم اره امس ، ثم لا أتحدث معه ابدا عما يدور فى الادارة . وهو يداعبنى دائما فى هذا الشأن .

ـ هل تعرفه اختك ؟

ـ نعم . ولكننى لم اكن اظن انهما يخرجان معا واذا انا اخبرت ابى بذلك فسوف يرغمها على العودة الى مولان .

ـ وما اسم ذلك الصحفى ؟

ـ بيزار ... انطوان بيزار ، وهو يقيم وحده فى باريس هو الآخر . وتقيم اسرته فى كوريز ، وهو اصغر منى بسنتين وله حق التوقيع على مقالاته .

ـ هل تلتقى بأختك ساعة الفداء ؟

ـ هذا يتعلق .. عندما اكون حرا ولا اكون بعيدا عن شارع ديباك اذهب للفداء معها فى مطعم بجوار مكتبها .

ـ اذهب اليها اليوم وأخبرها بما نمى الى علمنا هذا الصباح .

ـ هل يجب ؟ ..

ـ نعم .

ـ واذا كررت ما تسمعه ثانية .

ـ سوف تفعل .

ـ أهذا ما تريده انت ؟

ـ امض وكن رقيقا معها ، ولا تجعلها تلحظ انك تشك فى الامر .

ـ ولكننى لا أستطيع أن أدعها تخرج مع ذلك الشاب .. ان ابى قد أوصانى ..

ـ امض .

وطاب لميجريه ان يقطع شارع نوتردام دى لوريت سيرا على قدميه ، ولم يستقل سيارة اجرة الا عندما بلغ حى مونمارتر ، بعد ان عرج على احدى الحانات وتناول كأسا من النبيذ . وقال للسائق :

ـ الى ادارة البوليس .

ولكنه لم يلبث ان رجع عن رايه ودق بيده على زجاج النافذة وقال :

ـ امض بى الى شارع تورين .

ورأى محل ستوفيل ، وكان بابه مغلقا لان فرناند ذهبت الى السجن ومعها اطباقها كما تفعل كل يوم .

ـ قف لحظة .

كان جانفييه موجودا فى مقهى تورين ، وما ان رآه حتى غمز له بعينيه . ترى ، ما هى المهمة الجديدة التى عهد بها لوكاس اليه ؟ .. كان منهمكا فى الحديث مع الاسكافى واثنين من عمال البناء يرتديان ثيابهما البيضاء المميزة .

ـ انعطف الى اليسار ثم امض الى ميدان فوج فشارع بيراج .

وبهذه الطريقة مر أمام مقهى فوج حيث كان الفونسى جالسا أمام منضدة بجوار النافذة .

ـ هل تهبط ؟

ـ نعم . انتظر لحظة .

ودخل مقهى تورين اخيرا وقال يخاطب جانفييه : ان الفونسى جالس فى المقهى المواجه . هل رايت هناك بعض الصحفيين صباح اليوم ؟

ـ اثنين او ثلاثة .

ـ هل تعرفهم ؟

ـ لا اعرفهم كلهم .

ـ الديك ما يشغلك ؟

– لا شيء ذو اهمية . اذا كنت تريد ان تعهد الى بمهمة ما فانني حر . كنت اريد ان اتحدث مع الاسكافي .

وكانا قد ابتعدا عن الجماعة بما فيه الكفاية ، وراحا يتكلمان في صوت خافت :

– خطرت ببالي فكرة منذ لحظات ، بعد ان قرات المقال . ان الرجل كثير الكلام بالتاكيد ويريد ان يبدو شخصية مهمة ، وسيختلق من عنديانه عند اللزوم . زد على ذلك انه كلما وجد ما يقوله كلما كان ذلك سببا لمزيد من كئوس الشراب . وحيث انه يقيم امام ورشة ستوفيل تماما ، ونظرا الى انه يشتغل هو الآخر امام فترينة محله، فقد سألته اذا كانت هناك نساء تزور المجلد في بعض الاوقات .

– وبماذا اجاب ؟

– لم يقل الكثير ، ولكنه يتذكر على وجه الخصوص سيدة مسنة . ولا ريب انها ثرية . كانت تاتيه في سيارة خاصة يقودها سائق يرتدي البزة الرسمية . كانت تجلد كتبها لديه . ومنذ شهر تقريبا جاءت سيدة شابة انيقة جدا ترتدي معطفا من الفرو ... مهلا ... وقد الححت عليه لكي أعرف اذا كانت قد أتت مرة فحسب ولكنه اجابني بانها جاءت اكثر من مرة ، وانها جاءت آخر مرةَ منذ اسبوعين ، وكانت ترتدي تاييرا ازرق وقبعة بيضاء . وكان يوما صافي الجو نشرت الجرائد فيه مقالا عن بائع الاسطل بشارع سان جرمان .

– هذا يتفق مع ما لدينا من معلومات .

– هذا ما خطر لي ؟

– اذن فهي قد هبطت الى البدروم ؟

– كلا ، بيد انني لست متاكدا من ذلك . من الواضح انه قرا المقال هو الآخر ، وانه اختلق هذه القصة ليضفي على نفسه أهمية . ماذا تريد ان افعل ؟

– ان تراقب الفونسي ، والا تتركه يغيب عن بصرك طوال اليوم ... اعد كشفا بأسماء الاشخاص الذين سيلتقي بهم .

– اينبغي الا يعرف انني اراقبه ؟

– لا شيء ذو اهمية . اذا كنت تريد ان تعهد الى بمهمة ما فانني حر . كنت اريد ان اتحدث مع الاسكافي .

وكانا قد ابتعدا عن الجماعة بما فيه الكفاية ، وراحا يتكلمان في صوت خافت :

– خطرت ببالي فكرة منذ لحظات ، بعد ان قرات المقال . ان الرجل كثير الكلام بالتاكيد ويريد ان يبدو شخصية مهمة ، وسيختلق من عنديا ته عند اللزوم . زد على ذلك انه كلما وجد ما يقوله كلما كان ذلك سببا لمزيد من كئوس الشراب . وحيث انه يقيم أمام ورشة ستوفيل تماما ، ونظرا الى انه يشتغل هو الآخر امام فترينة محله ، فقد سألته اذا كانت هناك نساء تزور المجلد في بعض الاوقات .

– وبماذا أجاب ؟

– لم يقل الكثير ، ولكنه يتذكر على وجه الخصوص سيدة مسنة . ولا ريب انها ثرية . كانت تأتيه في سيارة خاصة يقودها سائق يرتدي البزة الرسمية . كانت تجلد كتبها لديه . ومنذ شهر تقريبا جاءت سيدة شابة انيقة جدا ترتدي معطفا من الفرو ... مهلا ... وقد الححت عليه لكي أعرف اذا كانت قد أتت مرة فحسب ولكنه اجابني بأنها جاءت اكثر من مرة ، وانها جاءت آخر مرةَ منذ اسبوعين ، وكانت ترتدي تايرا ازرق وقبعة بيضاء . وكان يوما صافي الجو نشرت الجرائد فيه مقالا عن بائع الاسطل بشارع سان جرمان .

– هذا يتفق مع ما لدينا من معلومات .

– هذا ما خطر لي ؟

– اذن فهي قد هبطت الى البدروم ؟

– كلا ، بيد انني لست متأكدا من ذلك . من الواضح انه قرا المقال هو الآخر ، وانه اختلق هذه القصة ليضفي على نفسه اهمية . ماذا تريد ان افعل ؟

– ان تراقب الفونسي ، والا تتركه يغيب عن بصرك طوال اليوم ... اعد كشفا بأسماء الاشخاص الذين سيلتقي بهم .

– اينبغي الا يعرف انني اراقبه ؟

(٤)

مغامرة فرناند

ما كاد ميجريه يدخل مكتب المفتشين حتى نظر لابوانت الشاب اليه فى يأس . كان مضطرم العينين ، شاحب الوجه ، كما لو كان قد قضى الليل مسهدا فوق أحد المقاعد الخشبية بقاعة انتظار الدرجة الثالثة . واخذه القوميسير الى مكتبه الخاص على الفور ، وهناك قال الشاب فى اكتئاب :

ـ ان قصة فندق بوسيجور كلها فى الجريدة .

ـ هذا افضل ... لو لم يكن الامر كذلك لخاب ظنى .

اذن فقد تعمد ميجريه ان يتحدث اليه كما لو كان يتحدث الى زميل قديم .. الى لوكاس أو الى تورينس .

ـ اننا لا نعرف شيئا عن هؤلاء الاشخاص تقريبا ، ولا نعلم اذا كانوا قد قاموا حقا بدور ما فى هذه القضية . هناك امرأة وطفل صغير ورجل بدين وآخر زرى الهيئة ... فهل ما زالوا فى باريس ؟ .. اننا لا ندرى ... اذا كانوا لا زالوا بها فلا ريب انهم افترقوا ، وما على المرأة الا أن تنضو عنها قبعتها البيضاء وان تفترق عن الطفل حتى لانعرفها أبدا .. هل تفهمنى ؟

ـ نعم يا سيدى القوميسير . أظن اننى أفهم . ومع ذلك فان من العسير أن أنكر ان أختى ذهبت والتقت بهذا الشاب مساء أمس كذلك .

ـ سوف تهتم بأختك فيما بعد . أما الآن فانك تعمل معى . وسوف يخيفهم مقال هذا الصباح ، وسيقع أحد شيئين . أما ان

يلزموا جحرهم ، اذا كان لهم جحر ما واما ان يبحثوا لهم عن مخبأ أمين . ومهما يكن فان فرصتنا الوحيدة هى ان يقدموا على شىء يكشفهم .

ـ نعم .

وتكلم القاضى دوسان فى التليفون فى هذه اللحظة مبديا دهشته من المقال الذى نشرته الجريدة ، وراح ميجريه يذكر له استنتاجاته فقال :

ـ ان الجميع يقظون يا سيدى القاضى .. المحطات والمطارات والفنادق المفروشة وبوليس الطرق وموبرز ، فوق ، فى البوليس الجنائى ، يبحث عن الصور التى يمكن أن تنطبق على أصحابها . وهم يستجوبون سائقى سيارات الاجرة وأصحاب الجاراجات ، اذ ربما تكون لاصحابنا هؤلاء سيارة .

ـ أيخامرك احساس بأن لهذا علاقة بقضية ستوفيل .

ـ انه خيط من خيوط كثيرة لم تهدنا الى اى شىء .

ـ اننى استدعيت ستوفيل ، للحضور فى الساعة الحادية عشرة. وسيكون محاميه معه كالعادة لانه لا يدعنى أتبادل كلمة واحدة فى غير وجوده .

ـ هل تسمح لى أن أحضر الاستجواب بعض الوقت .

ـ سوف يحتج ليوتار ، ولكن تعال معى على كل حال ، واحرص على ألا يبدو الامر متعمدا .

شىء غريب ! .. لم يسبق لميجريه ان التقى ابدا بليوتار هذا الذى جعلت منه الصحافة عدوا لدودا له .

وفى هذا الصباح كذلك نشرت جميع الجرائد حديثا للمحامى الشاب عن آخر تطورات القضية فقالت :

ـ ان ميجريه ينتمى الى رجال البوليس الذين تخرجوا من المدرسة القديمة ، اى انه ينتمى الى ذلك العهد الذى كان رجال البوليس يطيب لهم تعذيب المتهم الى حد الارهاق مما يضطره الى الاعتراف

ويحتفظون به تحت تصرفهم لمدة اسابيع ينقبون فيها بلا حياء فى حياة الناس الخاصة ويعتبرون كل الخدع مشروعة .

وهو الوحيد الذى لا يفهم ان الجمهور لم يعد يتقبل اليوم مثل هذه الاساليب المجوجة .

انه انخدع بخطاب كتبه مداعب مجهول والقى القبض على رجل شريف عجز بعد ذلك عن اقامة اى دليل ضده .

ومع ذلك فقد اصر على عناده ، وبدلا من الاعتراف بهزيمته راح يحـــاول اكتساب الوقت وتسـلية المتفرجين ، واستنجد بمدام ميجريه ، وراح يقدم للجمهور حلقات من رواية بوليسية مسلسلة .

صدقونى أيها السادة ان ميجريه اصبح رجلا من رجال العهد القديم .

وقال القوميسير يخاطب لابوانت : ابق معى يا صغيرى ، ولكن لا تنس ان تسألنى ، قبل ان تنصرف هذا المساء عما يجب أن تقول لاختك .

– لن اقول لها شيئا .

– بل ستقول لها ما اريدك ان تقول .

ومنذ ذلك الحين اصبح لابوانت ضابط اتصال بينه وبين اخته ، ولم يكن هذا العمل عبثا لان البوليس الجنائى اصبح اشبه بمركز للقيادة العامة .

واصبح مكتب لوكاس ، تورين المظيم ، مركزا للقيادة العامة ، وراح الموظفون يأتون اليه من كل الادوار ، فى حين اخذ الكثيرون يراجعون بطاقات الفنادق بحثا عن ليفين أو عن اى شخص يمكن ان تكون له علاقة بالاشخاص الثلاثة والفلام .

وقد وقعت فى الليلة السابقة ، فى الفنادق والغرف المفروشة مفاجآت بغيضة لنزلائها فقد ايقظهم رجال البوليس ، وفحصوا بطاقاتهم . وكان من نتيجة هذه المفاجآت أن القوا القبض على نحو خمسين منهم ما بين رجال ونساء لم تكن بطاقاتهم مستوفاة واضطروا الى قضاء الليلة فى مخافر رجال البوليس لاخذ بطاقاتهم .

وفى المحطات خضع المسافرون للفحص خلسة وعلى غير علم منهم. وبعد ساعتين من ظهور الجريدة بدات المكالمات التليفونية وازدادت بحيث ان لوكاس اضطر الى تخصيص موظف لهذا العمل بالذات .

فقد رأى بعض الاشخاص الفلام فى كل مكان ، وفى مختلف نواحى باريس والضواحى ، بعضهم مع السيدة ذات القبعة البيضاء والبعض مع السيد ذى اللهجة الاجنبية .

وأسرع بعض المارة فجأة الى أحد رجال الشرطة يقولون : أسرع ... ان الفلام فى آخر الشارع .

وتحقق البوليس من كل شىء ولم يهملوا اية نقطة . وانطلق ثلاثة من المفتشين فى أول ساعة من ساعات النهار لاستجواب أصحاب الجاراجات .

واهتم رجال البوليس الجنائى ، هم الآخرون ، بالقضية طوال اليوم ... ألم تقل صاحبة الفندق ان نزيلها لا يعـــود عادة قبل الساعة الواحدة صباحا ؟

كان لابد أن يعرفوا اذا كان الامر يتعلق بأحد المترددين على علب الليل ، وأن يستجوبوا عمـــال البارات والفتيات اللاتى يجالسن الرواد .

وبعد أن حضر ميجريه « التقرير » فى مكتب الرئيس ، اخذ يروح ويجىء طوال اليوم تقريبا ، خلال المبنى كله . وكان لابوانت يتبعه فهبط معه الى الدور الارضى وصعد لرؤية مويزر ، ثم الى ادارة التحقيق ، يستمع هنا الى مكالمة تليفونية ، والى بعض الآراء هناك .

وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة بقليل عنـــدما اتصل احد سائقى سيارات الاجرة بالتليفون ، ولم يكن قد نكلم قبل ذلك لانه انطلق الى الريف بسيدة مريضة لم تشأ أن تستقل القطار .

ذلك انه هو الذى ركبت معه السيدة والفلام من ميدان سان اوجستان ، وانه يذكر ذلك تماما .

ـ واين ذهبت بهما ؟

ـ عند التقاء شارعى مونمارتر جران بوليفار . .

ـ هل كان ثمة من ينتظرهما ؟

ـ لم ار احدا .

ـ الا تعرف اين ذهبا ؟

ـ اننى فقدت اثرهما على الفور وسط الزحام .

كانت تقع فى ذلك المكان فنادق كثيرة . وقال ميجريه يخاطب لابوانت :

ـ عد الى الطابق الارضى وقل لهم ان يفتشوا المنطقة التى تحيط بميدان مونمارتر . الا تفهم الآن انه ما لم يتملكهم الخوف ، وما لم يتحركوا فلن تكون لدينا اية فرصة للعثور عليهم .

وكان تورينس قد عاد من كونكارنو ومضى الى شارع تورين لكى يعيش « فى الجو » كما يقول .

اما جانفييه فقد أرسل تقريره يقول فيه انه لا يزال يتتبع خطوات الفونسى .

وكان هذا الاخير قد التقى أمس بفيليب ليوتار فى مطعم بشارع ريشيليو حيث تناولا عشاء دسما وهما يتبادلان الحديث فى هدوء ولحقت بهما بعد ذلك سيدتان ، لا تشبه أى منهما السيدة ذات القبعة البيضاء . كانت احداهما سكرتيرة المحامى ، وهى امراة طويلة القامة ، شقراء . لها هيئة كواكب السينما ، أما الاخرى فقد انطلقت مع الفونسى .

وقد ذهب هذا الاخير مع زميليه الى السينما ثم الى كباريه بشارع بلانش بقيا فيه حتى الساعة الثانية صباحا ، وبعد ذلك اصطحب المفتش السابق زميلته الى الفندق الذى يقيم فيه بشارع دويه .

ونزل جانفييه بغرفة أخرى بنفس الفندق واتصل بميجريه وقال له : انهما ما زالا نائمين ، وأنا أنتظر .

وقبل الحادية عشرة بقليل اكتشف لابوانت ، وهو يمشى مع ميجريه فى ادارة الامن العام مكاتب لم يكن قد عرفها بعد . وكانا

قد انطلقا فى ممر طويل مقفر تطل نوافذه على الفناء . وتوقف ميجريه فى آخر الممر واشار الى زميله الشاب بأن يلزم الصمت .

فقد دخلت عربة من عربات السجن الى الفناء فى هذه اللحظة . وكان ثلاثة أو اربعة من رجال الشرطة ينتظرون وهم يدخنون . وهبط اثنان آخران من العربة وأخرجا منها رجلا ضخما كالفوريللا ، ذا جبين منخفض تغل الاصفاد يديه ، ولم يعرفه ميجريه اذ لم يسبق ان رآه قبل ذلك .

ثم هبطت امرأة عجوز هشة تبدو البراءة على ملامحها ، ولكنه كان قد ألقى القبض عليها قبل ذلك نحو عشرين مرة بتهمة التشرد ، وقد تبعت الشرطة كما لو كانت قد اعتادت على المكان ، وسارت بتنورتها الواسعة نحو قلم قضاة التحقيق .

وكانت الشمس ساطعة ، والجو صاف هادىء كجو الربيع ، وقد راح الذباب يطن فى المكان .

ورأى ميجريه رأس فرانز ستوفيل الاشقر ، ولم يكن يلبس قبعته ، وكانت بذلته مجعدة بعض الشىء ، وتوقف كما لو ان الشمس قد بهرته ، وكان واضحا انه أطبق عينيه نصف اطباقة خلف نظارته السميكة .

وكانت الاصفاد فى يديه ، مثله فى ذلك مثل الرجل الفوريللا ، وهى قاعدة يلتزم بها البوليس كل الالتزام منذ هروب بعض السجناء من هذا الفناء بالذات .

وبدا ستوفيل بظهره المستدير وهيئته الرخوة مثال العمال المثقفين الذين يقرأون كل ما يقع تحت أيديهم ولا يعرفون اى شىء آخر فيما عدا عملهم .

وناوله احد رجال الشرطة سيجارة مشعلة فشكره واخذ منها بضعة أنفاس فى ارتياح مالئا رئتيه بالهواء والدخان .

ولا ريب انه كان هادئا بطبعه لان الحراس كانوا يترفقون فى معاملته ، تاركين له الوقت لكى يتمالك روعه قبل أن يقتادوه داخل

المبنى . أما هو فلم يبدو من ناحيته انه يحقد على حراسه او يحمل لهم أية ضغينة .

كان هناك ظل من الحقيقة فى حديث الاستاذ ليوتار ، ففى أوقات اخرى كان ميجريه يقوم بالتحقيق حتى النهاية قبل ان يترك المتهم لقاضى التحقيق .

والواقع انه لولا المحامى الذى بادر بالحضور منذ الاستجواب الاول لرأى ميجريه ستوفيل مرارا كثيرة ، ولعرضت له الفرصة بهذه الطريقة لدراسة الرجل دراسة وافية .

ولكنه كان يكاد لا يعرفه لانه لم يبق معه أكثر من عشر ساعات ، ولم يكن قد عرف عن القضية نفسها شيئا بعد .

ونادرا ما وجد أمامه متهما بمثل هذا الهدوء ، متحكما فى عواطفه دون أن يبدو عليه التصنع أو التكلف .

كان ستوفيل ينتظر الاسئلة ، وقد أمال رأسه قليلا كما لو انه يريد ان يفهم ، وكان ينظر الى ميجريه كما لو كان ينظر الى محاضر يلقى محاضرة يتعذر عليه فهمها ، ثم يأخذ كل وقته فى التفكير ويتكلم بصوت هادىء تشوبه دهشة خفيفة وينتقى كلماته ، ولكن بدون اى تكلف .

لم يبدو عليه الشعور بالملل أو بفروغ الصبر كأغلب المتهمين . وعندما كان يعود السؤال للمرة العشرين كان يرد عليه بنفس العبارات السابقة ، وفى هدوء عجيب .

وود ميجريه لو انه عرفه أكثر من ذلك ، ولكنه لم يكن ملكه الآن وانما كان ملكا منذ أكثر من ثلاثة أسابيع ، الدوسان الذى راح يستدعيه ومعه محاميه بمعدل مرتين كل أسبوع .

ومما لا ريب فيه أن ستوفيل كان رجلا خجولا فى الواقع ، ولكن أغرب ما فى الامر هو ان القاضى كان خجولا ، هو الآخر . وكان القوميسير قد رأى ذات يوم حرف ج . امام اسمه فسأله عنه واضطرم وجه القاضى الوقور وقال :

ـ لا يذكره لاحد والا فسيدعونى الجميع بعد ذلك بالملاك ، كما فعل زملائى فى المدرسة أولا ثم فى كلية الحقوق بعد ذلك . ان اسمى جبريل .

قال ميجريه بخاطب لابوانت : تعال ، سوف تبقى فى مكتبى لتتلقى المكالمات التليفونية ريثما أعود .

ولكنه لم يصعد مباشرة وانما راح يتسكع بعض الوقت فى الممرات وغليونه بين اسنانه ويداه فى جيبه كما لو كان فى بيته .

وعندما تراءى له ان التحقيق قد بدأ مضى الى قلم قضاة التحقيق وطرق باب القاضى دوسان وقال :

ـ هل تسمح ؟

ـ تفضل أيها القوميسير .

ونهض رجل ، وكان قصيرا ، ناحل العود بصورة مفرطة ، بادى الاناقة ، عرفه ميجريه على الفور لانه كان قد رأى صورة له فى الجرائد . كان شابا يتظاهر بالاهمية لكى يبدو اكبر من سنه شيئا ما ، يتكلف ثقة واعتدادا لا يتناسبان مع سنه .

وكان على شىء كبير من الوسامة ، ذا بشرة كامدة وشعر اسود .. له منخاران كبيران يهتزان فى بعض الاحيان ، وينظر الى الناس متفرسا كما لو كان مصمما على أن يحملهم على الاطراق . تكلم فقال :

ـ لا ريب انك مسيو ميجريه .

ـ نعم يا أستاذ ليوتار .

ـ اذا كنت تبحث عنى انا فسوف اراك طواعية بعد انتهاء الاستجواب .

وكان فرانز ستوفيل جالسا امام القاضى ينتظر . واكتفى هو الآخر بان القى نظرة على القوميسير ثم الى الكاتب الجالس فى آخر المكتب وقلمه فى يده :

ـ اننى لا ابحث عنك انت بالذات ولكننى ابحث عن مقعد .
ـ هل تنوى البقاء هنا ؟
ـ ما لم يطلب منى سيادة القاضى ان انصرف .
ـ بل ابق يا ميجريه .
ـ اننى احتج . اذا كان ولابد للاستجواب ان يمر بهذه الطريقة فاننى سأبدى كل التحفظات لان وجود شرطى فى هذا المكتب سيؤثر طبعا فى عميلى .

وهم ميجريه بأن يقول : غن يا صاحبى .. ولكنه امسك ورمى المحامى بنظرة ساخرة . لم يكن هذا الاخير يعنى كلمة واحدة مما قال طبعا ، ولكن كانت هذه وسيلة من وسائله ؛ ففى الاستجوابات السابقة أحتج لاسباب تافهة ، ولاسباب غريبة حقا .

ـ ليس هناك اى قانون يمنع احد ضباط البوليس الجنائى من حضور أى استجواب . واذا أردت فسوف نستأنف من حيث انقطع بنا الحديث .

ولكن دوسان كان قد تأثر بعض الشىء من حضور ميجريه . ومرت لحظة طويلة قبل أن يتمالك نفسه ويقول :

ـ سألتك يا مسيو ستوفيل هل كان من عادتك أن تشترى ثيابك جاهزة أو اذا كان احد الخياطين يفصلها لك .

قال المتهم فى تفكير : ان هذا يرجع للظروف .

ـ أية ظروف ؟

ـ اننى لا أعلق أهمية كبيرة على الثياب . عندما احتاج الى بذلة فاننى قد أشتريها جاهزة وقد ألجأ الى خياط لكى يفصلها لى .

ـ أى خياط ؟

ـ فصلت بذلة منذ عدة سنوات عند خياط يهودى كان جارا لى ، وقد اختفى بعد ذلك ، وأظنه هاجر الى أمريكا .

ـ هل كانت بذلة زرقاء .

ـ كلا . وانما كانت رمادية .

ـ كم سنة لبستها ؟

ـ لا أدرى . سنتان أو ثلاث .

ـ وبذلتك الزرقاء ؟

ـ لم أشتر أية بذلة زرقاء منذ نحو عشر سنوات .

ـ ولكن بعض الجيران راوك مرتديا بذلة زرقاء منذ وقت قريب .

ـ لا ريب انهم خلطوا بين بذلتى ومعطفى .

والواقع انهم وجدوا معطفا أزرق فى المسكن .

ـ متى اشتريت ذلك المعطف ؟

ـ فى الشتاء الماضى .

ـ أليس غريبا ان تشترى معطفا أزرق مع انك لا تملك الا بذلة رمادية . ان اللونين لا ينسجمان .

ـ اننى لا أهتم بالاناقة .

وفى أثناء ذلك راح ليوتار ينظر الى ميجريه فى شىء من التحدى، ويمعن النظر فيه كما لو كان يريد أن يمغنطه ثم هز كتفيه اخيرا كما يفعل فى المحكمة ليؤثر فى هيئة المحلفين ، وعلت شفتيه ابتسامة ساخرة .

ـ لماذا لا تعترف بأن البذلة التى وجدناها فى الدولاب ملكك ؟

ـ لانها ليست لى .

ـ وكيف تفسر وجودها فى ذلك المكان وانت كما يقال لا تغادر مسكنك أبدا ، ولا يمكن الوصول الى غرفتك الا عن طريق الورشة .

ـ لا استطيع أن افسر ذلك .

ـ فلنكن منطقيين يا مستر ستوفيل . اننى لا انصب لك شركا . هذه ثالث مرة على الاقل نواجه فيها هذا الموضوع . اذا كان ولابد ان اصدقك فان بعضهم قد دخل مسكنك خلسة لكى يضع ضرسين بشريين فى رماد مرقدك . ولاحظ ان هذا البعض قد اختار اليوم الذى تغيبت فيه زوجتك ، وانها لكى تتغيب كان لابد لها ان تسافر

الى كونكارنو ، او ان ترسل احدا الى هناك لكى يبعث اليها بتلك البرقية التى تقول ان امها مريضة . انتظر ... ليس هذا كل شىء .

« لم تكن وحدك فى البيت فحسب ، وهذا امر لا يحدث ابدا ، ولكنك أشعلت نارا فى ذلك اليوم وفى اليوم الذى يليه ، واضطررت الى نقل الرماد الى صندوق القمامة سبع مرات .

« ولدينا فى هذه النقطة بالذات شهادة مدام سالازار ، البوابة . وليس لديها ما يحملها على الكذب ، وهى من مكانها تستطيع ان تتابع ساكنيها فى ذهابهم وايابهم . وفى صباح يوم الاحد ذهبت الى صندوق القمامة سبع مرات وانت تحمل دلوا كبيرا مملوءا بالرماد .

وقد خطر لهـا انك تقوم بتنظيف الورشة وانك احرقت اوراقا قديمة .

ولدينا كذلك شهادة مدام ميجان التى تقيم فى الطابق الاخير ، وهى تقول ان مدخنتك ظلت تدخن طوال يوم الاحد . وقالت انه كان يخرج منها دخان اسود ، وقـد فتحت نافـذتها فى وقت من الاوقات وشمت رائحة كريهة .

تدخل المحامى فقال وهو يلقى بسيجارته فى المنفضة وينتقى سيجارة أخرى من علبة من الفضة .

ـ ألا يعتقد أهل الحى ان هذه العانس ميجان التى بلغت الثامنة والستين من عمرها متخلفة عقليـــا ؟ .. واسمح لى ان اقول ان النشرات الجوية الرسمية لايام ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ فبراير تؤكد ان الحرارة فى باريس وفى المنطقة الباريسية كانت منخفضة كثيرا على غير العادة .

ـ ولـكن هذا لا يفسر الضروس ولا يفسر كذلك وجـود البـذلة الزرقاء فى الدولاب ولا بقع الدم التى بها .

ـ انت الذى تتهم وعليك تقديم الدليل . ولن تتمكن ابدا من أن تثبت ان هذه البذلة ملك لعميلى حقا .

ـ هل تسمح أن القى سؤالا يا سيدى القاضى ؟

تحول هذا الاخير الى المحامى ولكن هذا الاخير لم يجد الوقت لكى يحتج لان ميجريه التفت الى الفلمندى وقال له :

ـ متى سمعت عن الاستاذ فيليب ليوتار لاول مرة .

نهض المحامى لكى يرد ، ولكن ميجريه استطرد غير عابىء به : عندما فرغنا من استجوابك فى الليلة التى القينا فيها القبض عليك ، أو بالحرى فى الساعات الاولى من الصباح ، سألتك اذا كنت تريد أن توكل عنك محاميا اجبتنى بالايجاب وذكرت اسم الاستاذ ليوتار .

ـ ان من حق اى متهم ان يختار المحامى الذى يروق له ، واذا ألقيت هذا السؤال مرة ثانية فسأضطر الى ان ارفع الامر الى نقابة المحامين .

ـ افعل يا صاحبى .. افعل .. أننى سألتك انت يا ستوفيل ، ولم ترد على .

« ولم يكن هناك ما يثير الدهشة لو انك ذكرت اسم محام مشهور، ولكن لم يحدث هنا ، ثم انك لم تفحص اى دليل فى مكتبى ولم تلق اى سؤال على أحد .

« والاستاذ ليوتار لا يقيم فى الحى الذى تسكنه انت ، واظن ان اسمه لم ينشر فى الجرائد ابدا قبل ثلاثة اسابيع .

ـ اننى أحتج ...

ـ أرجوك .. أما أنت ياستوفيل فقل لى ، هل سمعت عن الاستاذ ليوتار قبل قدوم مفتشى فى صباح يوم ٢١ . واذا كنت قد سمعت عنه فقل لى متى واين .

ـ لا ترد يا ستوفيل .

تردد الفلمندى ونظر الى ميجريه من خلال نظارته الكبيرة .

ـ هل ترفض أن ترد ؟.. حسنا . سألقى عليك سؤالا آخر . هل

اتصل بك احد بعد ظهر ٢١ بالذات لكى يتحدث معك عن الاستاذ ليوتار ؟

بدا التردد على ستوفيل للمرة الثانية .

ـ او اذا شئت . هل تحدثت مع احد فى التليفون ؟ سارد لك الى جو ذلك اليوم الذى بدا كغيره من الايام . كانت الشمس ساطعة ، وكان الجو رائقا بحيث انك لم تشعل جهاز التدفئة . وكنت تباشر عملك امام الفترينة عندما تقدم المفتش وطلب منك ان يزود المكان بحجة ما .

تدخل ليوتار فقال : اذن فانت تعترف بذلك ؟

انى اعترف يا استاذ ... ولكننى لا اسالك انت .

« ادركت على الفور ان البوليس يهتم بك يا ستوفيل .

« فى ذلك الوقت كانت توجد بورشتك حقيبة سوداء اختفت عندما اقبل البريجادير لوكاس ومعه الاذن بالتفتيش .

« فمن الذى اتصل بك بالتليفون ؟ .. او مع من تكلمت انت ؟ .. ومن الذى جاء لزيارتك بين زيارة لابوانت وقدوم لوكاس .

« وانى راجعت قائمة الاشخاص الذين اعتدت انت الاتصال بهم والذين دونت اسماءهم فى دفتر صغير . وراجعت انا نفس دليل التليفون . واسم ليوتار ليس مذكورا بين اسماء عملائك .

ـ انى امنعك من الرد .

ولكن الفلمنكى اتى بحركة تدل على نفاد صبره واجاب :

ـ انه اقبل من تلقاء نفسه .

ـ انك تتكلم عن الاستاذ ليوتار طبعا ، اليس كذلك ؟

وعندئذ ردد المجلد البشر حوله ، ووميض عيناه كما لو انه يستمتع بتوريط محاميه واجاب :

ـ نعم . انى اتكلم عن الاستاذ ليوتار .

تحول هذا الاخير الى الكاتب الذى راح يكتب وقال : لا حق لك فى تسجيل هذه الاقوال فى محضر رسمى ، فلا شأن لهـــا بالقضية . الواقع اننى ذهبت الى ستوفيل ، وكنت قد سمعت عنه لكى أسأله اذا كان يستطيع ان يجلد لى بعض الكتب . أليس هـذا صحيحا ؟

ـ هذا صحيح .

ولكن لماذا ، بحق الشيطان ، ومضت فى عينى الفلمندى هـذه الومضة المتخابثة ؟

ـ كنت أريد أن يصنع لى كليشيها عليه شـعار الاسرة يا مسيو ميجريه ، لان جدى كان يدعى الكونت دى ليوتار . وقد تخلى عن اللقب بمحض ارادته بعد ان افتقر . وقد اردت اعداد شعار باسم الاسرة ، ولجأت الى ستوفيل لهذا الغرض لاننى سمعت انه أحسن مجلد فى باريس وأنه مشغول دائما .

ـ ألم تحدثه الا عن شعار الاسرة .

ـ عفوا .. يبدو لى انك تستجوبنى أنا الآخر . انا هنا فى مكتبك ولا أريد ان اخاصم شرطيا . انك عندما بدت استجواب عميلى ابديت كل التحفظات . أما أن تستجوب أحد رجال القانون ...

ـ هل تريد أن تلقى اسئلة اخرى على ستوفيل ايها القوميسير ؟

ـ كلا . شكرا لك .

والغريب انه خيل له ان المجلد لم يشعر بأى استياء مما حدث . وانه راح ينظر اليه فى شىء من الود .

أما المحامى فقد جلس وامسك ملفا وتظاهر بأنه مستغرق فى دراسته . وقال ميجريه يخاطبه :

ـ ستجدنى فى مكتبى عندما تشاء يا استاذ ليوتار . هل تعرف مكتبى ؟ انه قبل الاخير ، الى اليسار ، فى آخر الممر .

وابتسم القاضى الذى كان يتململ فى مقعده ثم مضى الى الباب الصغير الذى يؤدى الى القلم الجنائى .

كانت الجلبة قد ازدادت عن ذى قبل ... التليفونات تصلصل خلف الابواب والناس الذين ينتظرون فى كل مكان والمفتشون الذين يجرون فى الممرات .

ـ اظن ان هناك من ينتظرك فى مكتبك ايها القوميسير .

وعندما بلغ الباب الفى فرناند جالسة وحدها مع لابوانت الشاب ، وكان هذا الاخير يجلس مكان ميجريه ويصغى اليها وهو يدون بعض الملاحظات . وتملكه الارتباك وهب واقفا . وكانت زوجة المجلد ترتدى معطفا من الجبردين الاسمر بحزام فى الوسط وقبعة من نفس اللون .

وقالت تسأل : كيف هـر ؟ .. هل رايته الآن ؟ .. اما زال فوق ؟

ـ انه على خير ما يرام . وهو يقر بأن ليوتار مر بالمحل بعد ظهر ٢١ .

قالت : وقع لى حادث خطير جدا ، وارجوك ان تصغى الى ما اقول فى صبر . غادرت شارع تورين صباح اليوم كعادتى لكى اذهب بطعامه الى السجن ، وانت تعرف الاوعية الصغيرة التى اضع فيها الطعام .

« وقد ركبت المترو فى محطة سان بول ، واستبدلته بآخر فى محطة شاتليه ، واشتريت الجريدة فى الطريق لاننى لم أكن قرات الاخبار بعد .

« وكان هناك مكان شاغر بجوار الباب فجلست به وبدات قراءة المقال الذى تعرفه .

« وكنت قد وضعت الاوعية فوق الارض بجوارى ، وكنت اشعر بسخونتها بجوار ساقى .

« وقبل محطة مونبارناس ببضع محطات صعد اناس كثيرون ومعهم

حقائب . ولا ريب ان قطارا كان قد اقبل قبل ذلك ، وكنت مستغرقة في قراءة المقال فلم اهتم بما يدور حولى الى ان خيل لى ان هناك من يعبث بالاوعية .

« ورأيت يدا تحاول أن تعيد الغطاء مكانه .

« ونهضت وأنا أستدير نحو جارى ، وكنا قد بلغنا محطة مونبارناس حيث كان يجب ان استبدل المترو . وهبط الجميع تقريبا .

« ولا أدرى كيف افلح الرجل ولكنه استطاع ان يقلب الاوعية وان يتسلل الى الرصيف قبل ان أتمكن من رؤية وجهه .

« وانسكب الطعام . واحضرت لك الاوعية ، وهى فارغة تماما ، فيما عدا الوعاء الذى كان تحت الباقى .

« وهأنت ترى ان هناك شريطا من المعدن فى آخره مقبض يربط الاوعية بعضها ببعض ، وهذا الشريط لم ينفتح وحده .

« وأنا واثقة ان شخصا تبعنى وحاول أن يدس السم فى الطعام الذى أذهب به اليه .

قال ميجريه مخاطبا لابوانت : اذهب بالاوعية الى المعمل .

ـ ربما لن يجدوا شيئا لان الرجل حاول دس السم فى الوعاء الذى فوق ، وهو فارغ الآن . ولـــكن هل تصدقنى يا ســـيدى القوميسير ؟ انك تحققت طبعا من اننى كنت صريحة معك .

ـ وهل كنت صريحة معى دائما ؟

ـ بقدر المستطاع . ولكن الامر هذه المرة يتعلق بحياة فرانز . انهم يحاولون قتله ، وقد أراد هؤلاء الاوغاد ان يستخدمونى على غير علم منى .

وفاضت نفسها مرارة وحسرة .

ـ لو اننى لم أكن مستغرقة فى قراءة الجريدة لاستطعت ان ارى الرجل . وكل ما أعرفه انه يرتدى معطفا خفيفا أسمر اللون كمعطفى هذا وان حذاءه الاسود قديم .

ـ هو شاب ؟

ـ ليس شابا وليس كهلا كذلك . انه متوسط العمر أو بالحرى رجل لا عمر له . هل تعرف ما أعنى ؟ .. كانت هناك بقعة فوق كتف معطفه . لاحظت ذلك وهو يبتعد متسللا .

ـ اهو طويل .. نحيف ؟

ـ بل قصير .. معتدل القامة على كل حال .. له سحنة فأر .

ـ هل انت واثقة انك لم تريه من قبل ؟

فكرت قبل أن تقول : كلا .. لا اظن اننى رايته قبل ذلك .

ثم استدركت قائلة : اننى اتذكر الآن . كنت أقرأ مقال الجريدة عن السيدة والفلام وفندق بوسيجور ، واظن انه احد الرجلين .. ذلك الذى تكلمت صاحبة الفندق وقالت انه أشبه ببائع الصور الخليعة . هل تسخر منى ؟

ـ كلا .

ـ الا تظن اننى اختلقت هذه القصة ؟

ـ كلا .

ـ هل تظن انهم حاولوا قتله ؟

ـ هذا محتمل .

ـ ماذا ستفعل ؟

ـ لا ادرى بعد .

وعاد لابوانت وقال ان المعمل لا يمكن اصدار رايه الا بعد عدة ساعات .

ـ هل تظن ان من الاوفق ان يقنع بطعام السجن .

ـ هذا ادعى للاحتراس .

ـ سيتساءل لماذا لم آته بطعامه ، ولن أراه الا بعد يومين ، فى موعد الزيارة .

لم تكن تبكى ، ولم تقم بأى تصنع أو تكلف ، ولكن عينيها الداكنتين المطوقتين كانتا مشحونتان بالقلق واليأس .

ـ تعالى معى .

ونظر الى لابوانت ، وغمز له بعينه ، وتقدمها فى السلم ، فى الممرات التى كانت تزداد اقفارا كلما تقدما فيها ، ووجد بعض المشقة فى فتح نافذة تطل على الفناء الذى تقف فيه عربة السجن .

ـ لن يلبث ان يهبط . هل تسمحين ؟ .. ان لدى عملا فوق .

وتبعته بعينيها وهو يبتعد غير مصدقة ، ثم تعلقت بيديها فى القضبان محاولة أن ترى الى ابعد ما تستطيع ، من الناحية التى سيخرج منها ستوفيل .

(٥)

القبعة

احس براحة اكبر وهو يغادر المكاتب التى كانت ابوابها تصطفق فى غير انقطاع بسبب مرور المفتشين، ولان جميع اجهزة التليفون كانت تعمل فى وقت واحد . وكان يستخدم سلما متفرا دائما وهو فى طريقه الى الدور العلوى حيث المعامل وغرف الارشيف .

وكانت العتمة قد بدأت تزحف ، فارتقى السلم الخافت الضوء ، يسبقه ظله الكبير .

وفى ركن من احدى الغرف المنخفضة ، كان موريز يعمل تحت مصباح كان يقربه اليه او يقصيه عنه بواسطة قضيب من الحديد ، وقد ثبت فوق جبينه واقية متحركة ووضع فوق عينيه نظارة ضخمة .

ولم يكن موريز قد ذهب الى شارع تورينس لاستجواب القوم او لشرب النبيذ الابيض أو الاحمر فى أحد البارات الثلاثة الموجودة هناك . ولم يتعقب اى شخص فى الشارع او يقض الليل مختبئا فى ظل باب مغلق .

لم يكن يحتد ابدا ، ولم يكن يتملكه الانفعال . وربما تجده فى مكتبه ثلاثة ايام وثلاث ليال متعاقبة .

اخذ ميجريه مقعدا من غير أن ينطق ، وجلس بجوار المفتش وأشعل غليونه ، وراح يدخن فى هدوء . واذ سمع صوتا منتظما فوق الكرة أدرك ان الطقس قد تغير وان الدنيا بدأت تمطر .

قال موريز وهو يناوله بعض الصور : انظر الى هذه يا سيدى . كان عملا رائعا قام به وحده فى مكتبه ، فقد جمع الاوصاف الفامضة التى قدمت اليه وعالجها على طريقته الخاصة ، وصور

منها ثلاثة اشخاص لا يعلم أحد منها شيئا تقريبا : الاجنبى البدين الاسمر ذو الشباب الثمينة والمراة الشابة ذات القبعة البيضاء ، واخيرا الشريك الذى يشبه بائع الصور الخليعة .

ولكى ينجز مثل هذا العمل الضخم لم يكن يملك غير بضع بطاقات وملفات ، ولكن لعله كان الوحيد الذى يختزن فى ذاكرته بذكريات كافية . لكى يحقق هذا العمل بكل صبر واناة .

كانت المجموعة الاولى التى راح ميجريه يفحصها تضم نحو اربعين رجلا بدينا ، يتسمون بالاناقة ، من اليونانيين او الشرقيين ، ناعمى البشرة ، يلبسون خواتم فى أصابعهم . وتنهد بويرز وقال :

ـ اننى مسرور جدا من هؤلاء . ولكن يمكنك ان تفحصهم على كل حال ، وان كنت أفضل هؤلاء بالذات .

وكانت المجموعة الثانية خمس عشرة رجل . وعندما كان ميجريه ينظر الى كل منها كان يشعر بأنه يود او ان يصفق ، فقد كانت كلها قريبة الشبه من الرجل الذى ادلت صاحبة فندق بوسيجور بأوصافه .

وكان مويرز قد كتب فوق كل صورة مهنة صاحبها ، فكان بينها صورتان لرجلين مشتغلان بالمراهنات على السباق ، وصورة لرجل متخصص فى السرقة بالاكراه ، كان ميجريه يعرفه كل المعرفة لانه ألقى القبض عليه شخصيا ذات مرة فى أوتوبيس عام ، ولرجل آخر يلاحق رواد الفنادق الكبرى لحساب بعض المؤسسات الخاصة.

وتراقصت فى عينى مويرز شعلة صغيرة تنم عن الرضا وقال :

ـ هذا العمل فيه تسلية كبيرة ، أليس كذلك ؟ اما من المراة فلم أجد شيئا تقريبا ، لان الصور التى لدينا تخلو من القبعات ، ومع ذلك ، فاننى مستمر .

دس ميجريه الصور فى جيبه . وبقى لحظة ، ارضاء لمويرز ثم تنهد وانتقل الى المعمل المجاور حيث كانوا يجرون تجاربهم على الاطعمة التى كانت موجودة فى آنية فرناند .

لم يعثروا فيها على شىء . فاما ان تكون قد اختلقت القصة من اساسها لفرض غير مفهوم ، واما انها تنبهت الى الرجل قبل ان يتمكن

من دس السم ، او ان يكون هذا الاخير قد دس السم فى الطعام الذى انسكب فى المترو .

وتجنب ميجريه اجتياز مكاتب البوليس القضائى وخرج تحت المطر الى رصيف أورفيفر ، ورفع ياقة سترته ومضى نحو جسر سان ميشيل واضطر أن يمد يده نحو عشر مرات لكى يوقف سيارة أجرة .

ـ ميدان بلانش ، فى آخر شارع ليبيك .

لم يكن راضيا عن تقدم التحقيق ، وكان يحقد بوجه خاص على فيليب ليوتار الذى ارغمه على أن يتخلى عن وسائله العادية ، وان يرغم كل الاقسام ، منذ اللحظة الاولى على الحركة بحيث اشترك فى القضية كثيرون واصبح لا يستطيع ادارتها شخصيا . وكانت القضية نفسها تزداد تعقدا بظهور اناس آخرين لا يعرف عنهم شيئا تقريبا ، ولا يستطيع أن يخمن ادوارهم فيها .

وقد أحس برغبته ، مرتين ، فى ان يبدأ القضية وحده ، من جديد . وفى تأن وبطء كعادته . ولكن ذلك لم يعد ممكنا لان الآلة راحت تدور ولم تعد هناك اية وسيلة لايقافها .

كان يود ، مثلا ، أن يستجوب البوابة من جديد ، وكذلك الاسكافى والعانس التى تقيم بالدور الرابع ، ولكن ما الجدوى من ذلك الآن ، لقد استجوبهم الجميع ، المفتشون والصحفيون الهواة من المخبرين ، ورجال الشارع . وظهرت اقوالهم فى الجرائد ، ولن يتراجعوا عنها الآن . كانوا كالاثر الذى وطأته آلاف الاقدام .

ـ هل تظن ان المجلد قتل أحدا ما يا مسيو ميجريه ؟

كان السائق هو الذى القى هذا السؤال فى غير كلفة ، واجابه ميجريه قائلا :

ـ لا أدرى .

ـ لو أننى كنت مكانك لاهتممت بالصبى بصفة خاصة ، فهو الطرف المهم ، ولست أتكلم هكذا لان لى صبيا مثله .

حتى السائقين انضموا الى المحققين .. وهبط ميجريه فى آخر شارع ليبيك ودخل بارا لكى يتناول كأسا . كان المطر يتساقط

حول الشرفة التى تجمعت فيها بعض النسوة وبدون كانهن فى متحف الشمع . كان يعرف اكثرهن ، فان بعضا منهن كن يعضين بعملائهن الى فندق بوسيجور .

وكانت هناك امراة بدينة جدا تقف بباب الفندق ، وكانت تسد الباب بجسمها ، وابتسمت له وهى تحسب انه قادم من أجلها ، ثم عرفته واعتذرت له .

وصعد السلم الخافت الضوء ، والفى صاحبة الفندق فى المكتب ، وكانت ترتدى ثوبا من الحرير الاسود ونظارة ذهبية ، وكان شعرها أحمر صارخا .

ـ اجلس .. هل تسمح لحظة ؟

ومضت الى السلم وصاحت : منشفة للغرفة رقم ١٧ يا ايما ..

وعادت وسألته قائلة : هل وجدت شيئا ؟

ـ اريد أن تفحصى هذه الصور .

وأعطاها صور النساء التى انتقاها مويرز ، فنظرت اليها واحدة ، واحدة وهى تهز راسها كل مرة . واعادتها اليه اخيرا قائلة :

ـ كلا . انها ليست من هذا النوع ابدا . انها اكثر اصالة من هذه النسوة . ربما ليست أصيلة بمعنى الكلمة ، ولكننى اقصد ان اقول انه يبدو انها امراة محتشمة ، بينما صاحبات هذه الصور يبدو كانهن من بائعات الهوى .

ـ وهؤلاء .

واعطاها صور الرجال ذوى الشعور السوداء ، فهزت راسها ثانية وقالت :

ـ كلا . انه ليس بينهم . لا ادرى كيف اقول لك . ان كل هؤلاء يبدو كما لو كانوا اجانب حقا . ولكن مستر ليفين فى مقدوره ان ينزل بأحد الفنادق الكبرى بسان اليزيه دون أن يثير التفات أحد .

ـ وهذه ؟

وناولها المجموعة الاخيرة وهو يتنهد . وما ان نظرت الى الصورة

الثالثة حتى اجفلت والقت الى القوميسير نظرة جانبية وبدا عليها التردد :

ـ هل هو ؟

ـ ربما ... انتظر حتى اقترب من النور .

واقبلت فتاة مع رجل وقفا فى الظل ، عند السلم ، فقالت لها :

ـ اذهبى الى الغرفة رقم ٧ يا كليمانس . اننا فرغنا من اعدادها الآن .

وغيرت من وضع النظارة فوق انفها ثم قالت :

ـ اكاد اقسم انه هو .. ليته يتحرك .. لو اراه يمشى وهو يولينى ظهره فاننى اعرفه على الفور .

وكان موبرز قد كتب خلف الصورة ملخصا لحياة الرجل . وقد دهش ميجريه اذ رأى انه بلجيكى الاصل كالمجلد . وكان معروفا باسماء كثيرة ، ولم يستطع أحد التأكد من شخصيته الحقيقية .

ـ اشكرك .

ـ أرجو أن تطلعنى على ما يتم . كان فى مقدورى ان اتظاهر بأننى لا اعرفه . ومن يدرى فلعله شديد الخطر ، وقد اتعرض انا نفسى لخطر جسيم .

كانت قد تطيبت بصورة غريبة . وكانت رائحة البيت شديدة بحيث أن ميجريه سره ان يجد نفسه فى الشارع وان يستنشق الهواء النقى ، تحت سيل المطر .

ولم تكن الساعة قد بلغت السابعة ، ولا ريب ان لابوانت الشاب قد لحق بأخته الآن لكى يروى لها ما حدث فى ادارة الامن اثناء النهار كما اوصاه ميجريه .

كان شابا طيبا ، وان كان لا يزال عصبيا بعض الشىء ، سريع التاثر ، ولكنه سيكون شرطيا ممتازا . وكان لوكاس فى مكتبه يبدو كقائد الاوركسترا يربطه التليفون بجميع الاقسام فى جميع انحاء باريس وفى كل مكان آخر يبحثون فيه عن الثلاثة .

اما جانفييه فقد لازم الفونسى الذى عاد الى شارع تورين وبقى ما يقرب من ساعة فى المحل مع فرناند .

وتناول القوميسير كأسا آخر من البرنود وهو يقرأ الملاحظات التى دونها مويرز والتى تعيد الى ذاكرته بعض الذكريات .

« الفريد موس ، بلجيكى الجنسية ؟ فى نحو الثانية والاربعين من عمره ، قضى عشر سنوات يعمل بالفن فى أحد الكباريهات ، ينتمى الى فرقة بهلوانية معروفة باسم موس وجيف وجو » .

تذكر ميجريه هذه الفرقة .. وتذكر على وجه الخصوص واحدا من الثلاثة كان يقوم بدور البهلوان وهو مرتديا ثيابا سوداء واسعة وحذاء اسود ضخما ، له ذقن زرقاء وفم كبير وباروكة خضراء .

كان الرجل يبدو مفكك المفاصل ، وبعد كل حركة بهلوانية كان ينهض وهو يتظاهر بأنه ثقيل الحركة بحيث يبدو أن شيئا به لابد قد انكسر .

« وقد عمل فى أغلب بلاد أوروبا ، بل وفى الولايات المتحدة ، حيث انضم الى سيرك بارنوم وعمل به لمدة أربع سنوات .

« تخلى عن مهنته عقب حادث وقع له .

« يتبع ذلك الأسماء التى عرفه بها البوليس فيما بعد . موسلاير ، فلانديرن ، بترسون ، سميث وتوماس ... وقد ألقى القبض عليه بالتوالى فى لندن ومانشستر وبروكسل وامستردام ، وثلاث او أربع مرات فى باريس .

ولكنه لم يدان مع ذلك ولا مرة وذلك لعدم توافر الادلة . وسواء ألقوا القبض عليه باسم أو بآخر فقد كان مزودا دائما بأوراق سليمة مستوفاة . وكان يتكلم أربع او خمس لغات بطلاقة بحيث كان يستطيع أن يغير جنسيته بسهولة ، كما يحلو له .

وقد طورد لاول مرة فى لنـــدن ، وكان ينتحل شخصية مواطن سويسرى ويعمل مترجما فى أحد الفنادق . وقد اختفت حقيبة مجوهرات من شقة رؤى خارجا منها ، ولكن صاحبة المجوهرات ، وهى امريكية ، شهدت بأنها هى التى استدعته الى غرفتها لكى يترجم لها خطابا جاءها من المانيا .

وبعد ذلك بأربع سنوات اشتبه فى انه ارتكب حادث سرقة على الطريقة الامريكية ، ولكنهم ، كالمرة السابقة ، لم يتمكنوا من اقامة

الدليل على ذلك ، واختفى عن الحركة لمدة كبيرة .

« وبعد ذلك اهتمت به ادارة المباحث العامة بباريس ، وذلك فى وقت كانت تجارة الذهب بين الحدود قائمة على نطاق واسع . حيث أصبح موس معروفا باسم جوزيف توماس وراح يتنقل بين فرنسا وبلجيكا .

« عرك الحياة بحلوها ومرها ، فتارة يقيم فى فندق من فنادق الدرجة الاولى وأخرى فى فندق حقير . ومنذ ثلاث سنوات لا يعرف أحد عنه شيئا ، ولم يعرف احد فى اى بلد يعيش ولا بأى اسم يعمل ، هذا اذا كان لا يزال يعمل .

وتوجه ميجريه الى المقصورة الخاصة بالتليفون وأتصل بلوكاس فى آخر الخط وقال له : اصعد الى مويرز وسله عن كل شىء يتعلق بالمدعو موس . قل له انه واحد من الثلاثة . سوف يعطيك أوصافه . أرسل نداء عاما للبحث عنه ولكن لا تلقوا القبض عليه ، وانما حاولوا ، اذا اهتديتم اليه ألا تزعجوه . هل هذا مفهوم ؟

ـ نعم باريس . جاءتنى الآن اشارة أخرى بخصوص طفل ...

ـ أين ؟

ـ فى شارع دنفر روشيرو . وقد بعثت بأحد الرجال هناك وما زلت أنتظر . لم يعد تحت يدى ما يكفى من الرجال . وجاءتنا كذلك اشارة من محطة الشمال ، وذهب تورينس هناك .

أحس ميجريه بالرغبة فى أن يمشى قليلا ، تحت المطر ، ومضى الى ميدان دانفر حيث نظر الى المقعد الذى جلست عليه مدام ميجريه ، وكان الآن يقطر ماء ، وأمامه فى العمارة التى فى آخر شارع تورودين لافتة مكتوب عليها بالحروف الكبيرة « طبيب أسنان » ..

سوف يعود ، فهناك أمور كثيرة يريد القيام بها وترغمه زحمة العمل دائما على تأجيلها الى اليوم التالى .

وركب أوتوبيسا ، وعندما بلغ بيته أدهشه انه لا يسمع أى صوت فى المطبخ ولا يشم اية رائحة . ودخل مسكنه واجتاز غرفة الطعام الداخلى وهى تنضو عنها جوربيها .

ولم تكن هذه عادتها ابدا ، ولهذا لم يجد ما يقوله لها . وانفجرت هى ضاحكة حين رأت عينيه المستديرتين الجاحظتين ، وقالت :

ـ هل انت غاضب يا ميجريه ؟

وكان فى صوتها رنة من السرور تكاد تكون معادية لمن لا يعرفها . ورأى فوق الفراش أحسن ثيابها وقبعتها الثمينة التى تدخرها لايام الاعياد .

ـ يجب أن تقنع بعشاء بارد الليلة . تصور اننى انشغلت بحيث لم أجد وقتا لاعداد أى شىء ، ثم انك من النادر ان تعود لتناول الغداء هذه الايام .

وراحت تدعك قدميها وهى جالسة فوق مقعدها وتنهد فى ارتياح :

ـ أظن اننى لم أمش فى حياتى كلها كما مشيت اليوم .

ووقف بمعطفه وقبعته المبتلة فوق رأسه ، ينظر اليها وينتظر . وتركته ينتظر عبثا . وأخيرا قالت :

ـ بدأت بالمحلات الكبيرة على الرغم من اننى كنت شبه واثقة ان عملى هذا غير مثمر . ولكن من يدرى ؟ .. ولم أشأ ان ارمى نفسى بالاهمال بعد ذلك فقطعت شارع لافاييت كله مشيا ومنه الى شارع نوتردام دى لوريت فشارع بلانش وشارع كليشى ثم هبطت الى الاوبرا . وكل هذا مشيا على قدمى ، على الرغم من ان الدنيا راحت تمطر ، ويجب أن أقول لك اننى ذهبت أمس الى حى دى فيرن والشانزليزيه ، وان اقول لك كذلك ، ابراء لضميرى ، اننى كنت اعتبر هاتين الناحيتين غاليتين جدا .

ونطق أخيرا بالعبارة التى كانت تنتظرها منذ وقت طويل : وعم كنت تبحثين ؟

ـ عن القبعة ؟ .. الم تفهم ؟ لقد أزعجتنى هذه القبعة ، ورأيت ان هذا العمل ليس من عمل الرجال . ان الثوب يبقى ثوبا ، خصوصا اذا كان ازرق ، اما القبعة فأمرها يختلف . وقد نظرت الى هذه القبعة كثيرا ، فان القبعات البيضاء هى المودة السائدة هذه الايام ، ولكن لا يمكن للقبعات ان تتشابه تماما .. هل تفهم ؟ .. الا يزعجك ان تتناول الطعام باردا ؟ .. اننى اتيت بلحم بارد من المحل الايطالى

.. جامبون وفطائر واصناف اخرى لذيذة .

انها افلحت فى مهمتها والا ما تكلمت بهذه اللهجة التى تنم عن سرورها ورضائها ، ولما سمحت لنفسها بان تداعبه بهذه الطريقة . وراى من الاوفق أن يتركها تتكلم كما يحلو لها ، وان يحتفظ بمظهره المتذمر ما دام هذا يسرها .

وارتدت ثوبا من الصوف ، فى حين جلس هو على حافة الفراش . وقالت :

ـ كنت أعلم انها قبعة لم تخرج من متجر كبير . وانه ليس هناك داع لان أبحث فى شارع دى لابيه او شارع سانت اونوريه او شارع ماتينيون ، ثم انهم لا يعرضون شيئا فى الفترينات فى هذه المحلات ، وكان لابد لى من ان ادخل وان أتظاهر بأننى أريد شراء قبعة . ولا أخالك تتصور اننى اجرب قبعات فى محل كارولين ريبو او محل روز فالوا .

« ومع ذلك فهى لم تكن قبعة عادية كغيرها من القبعات .

« كانت بين بين ... قبعة صنعتها صانعة قبعات مشهورة لها ذوق سليم .

« ولهذا السبب رحت أطوف بالمتاجر الصغيرة ، وخصوصا تلك التى فى ميدان دانفر .

« ورأيت مائة من القبعات البيضاء ، ومع ذلك فقد أثارت انتباهى قبعة رمادية اللون فى شارع كومارتان بمتجر هيلين وروزين .

« كانت نفس القبعة ولكن بلون آخر ، وكنت متأكدة من اننى لم أخطىء . وقد قلت لك ان قبعة السيدة ذات الصبى لها حاشية من الحرير يبلغ عرضها ثلاثة او اربعة سنتيمترات ، تحت العينين تماما . وكانت للقبعة الرمادية حاشية من نفس النوع .

ـ هل دخلت ؟

بذل ميجريه مجهودا كبيرا لكى لا يبتسم لان هذه كانت اول مرة تتدخل فيها مدام ميجريه الخجولة فى احدى قضاياه، وكانت بلا شك اول مرة تدخل فيها متجرا للقبعات بحى الاوبرا .

ـ هل يدهشك هذا ؟ .. هل تجد اننى امراة بدينة ، سمينة ، لا اصلح لهذا العمل ؟ .. نعم ، دخلت ، وسألت بلهجة طبيعية ان كانت لديهم قبعة بيضاء من نفس النوع ؟

واجابتنى صاحبة المتجر بالنفى ، وقالت ان لديهم قبعات زرقاء وصفراء وخضراء وأردفت تقول انه كان لديها قبعة بيضاء وانها باعتها منذ أكثر من شهر .

سألها محيرا : وماذا فعلت ؟

ـ قلت لها بعد ان أخذت نفسا طويلا . هذه هى القبعة التى رأيتها على رأس صديقتى .

وكنت أنظر الى المرآة ، فرأيت وجهى يضطرم ، وسألتنى السيدة فى شىء من الدهشة وفى غير تملق :

ـ هل تعرفين الكونتيسة .

ـ اننى التقيت بها ، ويسرنى لو أستطيع ان التقى بها ثانيا لاننى حصلت على معلومات تهمها ولا استطيع الاتصال بها لاننى فقدت عنوانها .

ـ أظن انها لا تزال ...

وكادت تمسك عن الكلام لانها لم تكن واثقة منى تماما . ولكنها لم تجرؤ على التزام الصمت وقالت أخيرا :

ـ اظن انها لا تزال فى الكلاريدج .

ونظرت مدام ميجريه اليه فى زهو وسخرية فى نفس الوقت ، وشفتاها ترتجفان . ولعب ميجـــريه اللعبة حتى آخرها وزمجر قائلا :

ـ أرجو ألا تكونى ذهبت لاستجواب بواب الكلاريدج .

ـ اننى اتيت هنا مباشرة . هل انت غاضب منى ؟

ـ كلا .

ـ اننى ضايقتك بهذه القضية كثيرا بحيث خطر لى ان أساعدك . والآن ، تعال وتناول طعامك قبل أن تذهب الى هناك .

وذكره هذا العشاء بأول عشاء تناولاه معا فى باريس عندما اتت الى باريس لاول مرة وأعجبت بكل الأطباق التى يقدمونها فى المطاعم

الايطالية . وسألته تقول :

ـ هل يفيدك ذلك ؟

ـ هذا اذا لم تكونى قد خلطت بين القبعة وبين أخرى غيرها .

ـ اننى واثقة منها ، بيد اننى لم اكن كذلك فيما يتعلق بالحذاء .

ـ وما قصة الحذاء ؟

ـ ان الواحدة منا عندما تجلس على مقعد فى مكان ما فان أول ما تقع عليه عيناها هو حذاء جارتها . وما ان نظرت الى حذاء تلك السيدة حتى رأيت انها تضايقت ، وقد حاولت أن تخفى قدميها تحت المقعد .

ـ ولماذا ؟

ـ سأشرح لك الامر يا ميجريه . لا تنظر الى هكذا ، فليس الذنب ذنبك اذا كنت لا تفهم شيئا من أمور النساء . لنفرض ان امرأة معتادة على ارتداء أحسن الثياب تحاول ان تظهر بمظهر المرأة العادية لكى لا يلحظها أحد . انها تشترى عندئذ ثوبا بسيطا ، وهذا أمر يسير ، ويمكنها أن تشترى قبعة غير ثمينة ، مع اننى لم أكن متأكدة من امر القبعة .

ـ ماذا تعنين ؟

ـ اعنى ان القبعة كانت لديها من قبل بلا شك ، وانه خطر لها انها أشبه بغيرها من القبعات التى ترتديها فتيات الطبقة العادية . تمكنها أن تخلع مجوهراتها ولكن هناك شيئا لا تستطيع ان تألفه بسهولة ، وأعنى به الحذاء الجاهز ، فان المرأة اذا انتعلت حذاء غاليا من المحلات الفاخرة تشعر بأن قدميها رقيقتان مرهفتان . وانت قد سمعتنى أشكو كثيرا لكى تعرف ان أقدام النساء حساسة بحيث ان السيدة تحتفظ بحذائها وهى تظن ان احدا لن يلحظه . وهذا خطأ تافه لانه اول شىء تقع عليه عينى . والعكس هو الذى يقع عادة ، فاننا نرى نساء أنيقات يلبسن ثوبا ثمينا أو معطفا من الفرو وحذاء رخيصا .

ـ وهل كانت ترتدى حذاء غاليا ؟

ـ كانت ترتدى حذاء صنع على مقاسها بالذات ويدل شكله على انه غالى الثمن .

وبعد ان فرغ من تناول عشـــائه شرب كاسا ودخن غليونه . وسألته اذا رأته يتأهب للخروج :

ـ اذاهب أنت الى الكلاريدج ؟ .. هل ستتاخر ؟

واستقل سيارة اجرة حملته الى الفندق ، فى ميدان الشانزليزيه، ومضى الى مكتب البواب .. وكان بواب الليل ، وكان يعرفه منـذ سنوات ، وكان هذا افضل لان بوابى الليل يعرفون عن العملاء اكثر مما يعرفه بوابو النهار .

وكان وصواه الى مثل هذا المكان يحدث نفس الاثر دائما ، وراى الموظفين والمدير وحتى صبية المصاعد يقطبون وجوههم وهم يتساءلون عما هناك لانهم لا يحبون الفضائح فى الفنادق الكبيرة ، وقـدوم قوميسير البوليس الجنائى كان لا يبشر بالخير ابدا .

ـ كيف حالك يا بنوا ؟

ـ لا بأس به يا مسيو ميجريه .. ان الامريكان بداوا يظهرون من جديد .

ـ أما زالت الكونتيسة بانيتى مقيمة بالفندق .

ـ بل غادرته منذ شـــــهر . هل تريد أن اتحقق من اليوم بالتدقيق ؟

ـ هل رافقتها أسرتها ؟

ـ أية أسرة ؟

كان الوقت هادئا ، واغلب الناس فى الخارج ، فى المسارح او المطاعم . وفى ضوء النور الذهبى وقف صبية الفندق بجوار اعمدة الرخام ، تهتز أيديهم وهم يراقبون القوميسير ، وكانوا جميعا يعرفونه .

ـ لم أعرف لها اسرة أبدا ... انها تنزل هنا منذ سنوات و ...

ـ قل لى . هل سبق ان رأيت الكونتيسة ترتدى قبعة بيضاء ؟

ـ طبعا . جاءتها واحدة قبل رحيلها بأيام .

– وهل كانت ترتدى تايرا ازرق ؟

– كلا . لا شك انك تخلط بينها وبين سيدة اخرى يا مسيو ميجريه . ان التى ترتدى التاير الازرق هى خادمتها او وصيفتها .. اعنى الفتاة التى رحلت معها .

– الم تر الكونتيسة ترتدى تاير ازرق ابدا .

– لو انك عرفتها لما القيت هذا السؤال .

اخرج ميجريه من جيبه صور النساء التى اخذها من مويرز وقال : هل هناك من يشبهها بين هؤلاء النسوة .

نظر بنوا الى القوميسير فى دهشة وقال : هل انت واثق انك غير مخطىء ؟ .. هذه صور نساء لم يتجاوزن الثلاثين من العمر فى حين ان الكونتيسة تجاوزت السبعين . يمكنك ان تستعلم عنها من زملائك فى قلم المخدرات لانهم يعرفونها من غير شك ... اننا نرى من العملاء من هم غريبو الاطوار حقا ، والكونتيسة تفوق الجميع غرابة .

– هل تعرف من هى اولا ؟

– هى ارملة الكونت بانيتى ، رجل الذخيرة والصناعات الثقيلة فى ايطاليا ، وهى تعيش فى كل مكان تقريبا .. فى باريس وكان ومصر ، واظن انها تقضى موسما فى فيشى كل عام .

– هل تشرب ؟

– انها تستبدل الماء بالشمبانيا ولا استغرب اذا قيل لى انها تغسل أسنانها بالويسكى . وهى ترتدى الثياب كما لو كانت لا تزال فتاة وتتخضب كما لو كانت عروسا ، وتقضى اكبر جزء من لياليها فى الكباريهات .

– وخادمتها ؟

– اننى لا اعرفها كثيرا ، لان الكونتيسة تغيرهن دائما ، ولم ار هذه الاخيرة الا هذه السنة . كان لديها فى العام الماضى فتاة اخرى شقراء كانت تشتغل بالتدليك أصلا لان الكونتيسة كانت تحب التدليك يوميا .

ـ هل تعرف اسم تلك الفتاة ؟

ـ اسمها جلورسيا ، أما لقبها فلا أعرفه . لم تعد بطاقتها لدى ، ولكنهم سيخبرونك بما تريد فى المكتب . ولا اعرف اذا كانت ايطالية او من الجنوب ، بل لعلها من تولوز .

ـ اهى سمراء ؟

ـ نعم . وأنيقة جدا وجميلة ومهذبة . وكنت لا اراها كثيرا . لم تكن تقيم فى جناح الخدم وانما مع سيدتها ، وكانت تتناول طعامها معها .

ـ لم يكن هنا رجال يقيمون مع الكونتيسة ؟

ـ لم يكن هناك غير صهرها . وكان يأتى لكى يراها من وقت لآخر .

ـ متى ؟

ـ قبل رحيلها بقليل . واذا أردت التاريخ بالتحديد فيمكنك ان تلجأ الى مكتب الاستقبال . ولكنه لم يكن يقيم بالفندق .

ـ هل تعرف اسمه ؟

ـ أظن انه كرينكر .. وهو تشيكى الاصل او لعله هنغارى .

ـ أسمر ، بدين ، فى نحو الاربعين من عمره ؟

ـ كلا . بل أشقر ، وأصفر سنا ... لم يتجاوز الثلاثين عاما .

وقطع عليهما الحديث بعض الامريكان هبطوا وهم بثياب السهرة وأعادوا مفاتيحهم وطلبوا من البواب أن يأتيهم بسيارة اجرة .

ـ ولكننى اعتقد انه ليس صهرها حقا .

ـ هل كانت لها مغامرات ؟

ـ لا أدرى ... لن اقول لا ولا نعم .

ـ هل حدث لصهرها أن قضى الليل هنا .

ـ كلا . ولكنهما خرجا معا مرارا كثيرة .

ـ والوصيفة ؟ .. هل كانت ترافقهما ؟

ـ لم تكن تخرج مع الكونتيسة ليلا ابدا .. بل اننى لم أرها حتى فى ثياب السهرة .

ـ هل تعرف اين ذهبتا ؟

ـ اظن انهما سافرتا الى لندن .. ولكن مهلا .. اظن اننى اتذكر شيئا .. ارنست .. تعال هنا .. لا تخف .. الم تترك الكونتيسة بانيتى حقائبها الكبيرة ؟

ـ نعم يا سيدى .

قال البواب موضحا : يحدث احيانا ان يترك عملاؤنا الذين يكثرون من التنقل بعض امتعتهم هنا . ولدينا مخزن لهذا الغرض بالذات . وقد أودعت الكونتيسة حقائبها فيه .

ـ الم تذكر متى تعود ؟

ـ لا أعلم .

ـ هل غادرت الفندق بمفردها ؟

ـ غادرته مع وصيفتها .

ـ فى سيارة أجرة ؟

ـ يجب أن تسأل زميلى ، وبواب النهار فى ذلك . وستجده غدا ، ابتداء من الساعة الثامنة صباحا .

أخرج ميجريه صورة موس من جيبه . ولم يلق البواب عليها غير نظرة عابرة ثم قطب جبينه وقال :

ـ ان تجده هنا .

ـ هل تعرفه ؟

ـ هو باترسون ، وقد عرفته باسم موسلير ، عندما كنت أعمل فى ميلانو ، منذ خمسة عشر عاما . انه معروف فى كل الفنادق الكبرى ، ولن يخطر له أن يلجأ اليها لانه يعرف انهم لن يرحبوا به ولن يسمحوا له حتى بعبور البهو .

ـ الم تره هذه الايام الاخيرة ؟

ـ كلا . لو اننى التقيت به . فسأبدأ بمطالبته بأن يرد لى المائة ليرة التى اقترضها منى فيما سبق والتى لم يردها لى حتى اليوم .

ـ هل لدى زميلك تليفون ؟

ـ يمكنك دائما أن تحاول الاتصال به فى فيللته بسان كلود ،

ولكن من النادر ان يرد ، فهو لا يحب ان يزعجه احد بالليل ، ثم انه يرفع السماعة في اغلب الاوقات .

ومع ذلك فقد رد على ميجريه على الفور ، وسمع هذا الاخير صوت موسمي عبر أسلاك التليفون . وقال :

ـ يمكن لرئيس المخزن أن يكون أكثر دقة . لا اتذكر انني استدعيت لها سيارة اجرة ، وعندما تغادر الكونتيسة الفندق اتولى انا عادة شراء تذاكر البولمان او الطائرة .

ـ الم تشتر لها التذاكر هذه المرة ؟

ـ كلا . وقد اذهلني هذا ... لعلها رحلت في سيارة خاصة .

ـ هل تعلم اذا كان صهرها ، ذلك المدعو كرينكر يمتلك سيارة ؟

ـ طبعا . سيارة كبيرة ، أمريكية الطراز ، بلون الشيكولاتة .

ـ اشكرك . سأراك غدا بلا ريب .

ومضى الى مكتب الاستقبال ، وراح المدير يبحث بنفسه بين البطاقات وقال :

ـ انها غادرت الفندق في مساء ١٦ فبراير .. وها هي فاتورتها.

ـ هل كانت بمفردها ؟

ـ أرى بفاتورتها انها تناولت الغداء في ذلك اليوم مع شخص آخر . ويتضح من هذا انها تناولته مع وصيفتها .

ـ هل لك أن تستودعني هذه الفاتورة ؟

كان مسجلا بها مصاريف اقامة الكونتيسة يوما بيوم ، وقد رأى ميجريه ان يدرسها بامعان وهدوء . وقال المدير :

ـ على شرط ان تعيدها الي والا تسببت لي في مضايقات مع رجال الضرائب . وبهذه المناسبة ، لماذا يهتم رجال البوليس بالكونتيسة بانيتي .

وكان ميجريه مشغول الذهن فأوشك ان يقول : ان زوجتي هي السبب ولكنه استدرك وقال متذمرا :

ـ لا ادري بعد ... بسبب قبعة .

(٦)

لقاء مع فرناند

دفع ميجريه الباب الدوار فكشف عن انوار الشانزليزيه التى كانت تذكره دائما ، تحت قطرات المطر بعيون دامعـــة . وكان يهم بالهبوط على قدميه الى الميدان عندما قطب حاجبيه ، فقد رأى عند جذع شجرة ، بجوار بائعة زهور ، وقفت تحتمى عندها ، جانفييه ينظر اليه وهو فى حالة يرثى لهـا ويثير الضحك . وكان يبدو انه يريد ان يقول له شيئا فمضى اليه وسأله :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

اشار المفتش الى شخص خلف احدى الفترينات .. ولم يكن غير الفونسى ، وكان يبدو كما لو كان منهمكا فى فحص احدى الحقائب ، وقال :

ـ انه يتعقبك بحيث اضطررت الى ان اتعقبك أنا الآخر .

ـ هل رأى ليوتار بعد انصرافه من شارع توربن ؟

ـ كلا . ولكنه تحدث معه فى التليفون .

ـ دعه وشأنه . هل تريد أن أوصلك ؟

كان جانفييه يقيم على مقربة منه بشارع ريومور .

ورآهما الفونسى ينطلقان معا ، وبدا مشدوها مرتبكا ، وفيما كان ميجريه يستدعى سيارة أجرة ، رأى ان يكف عن تعقبه ، وابتعد صوب ميدان الاتوال .

ـ هل من جديد ؟

ـ بل هناك الكثير ؟

ـ هل اتعقب الفونسى غدا أيضا ؟

ـ كلا . امض الى المكتب . سيكون هناك عمل للجميع من غير شك .

وعندما هبط المفتش امام بيته قال ميجريه للسائق : اذهب بى الى شارع تورين .

لم يكن الوقت متأخرا ، وكان يأمل فى شىء من الفموض ، ان يرى نورا فى محل المجلد ، لانه سيستطيع ان يثرثر عندئذ مع فرناند كما يحلو له .

وبسبب انعكاس على الزجاج هبط من السيارة ، ولكنه لم يلبث ان رأى الظلام مخيما بالداخل فتردد فى طرقه ومضى فى طريقه الى ادارة الامن حيث كان تورينس يقوم بالمناوبة ، وزوده بتعليماته .

وكانت مدام ميجريه قد اوت الى فراشها عندما عاد على اطراف قدميه . وفيما هو ينضو عنه ثيابه فى الظلام لكى لا يوقظها سألته تقول :

ـ والقبعة ؟

ـ لقد اشترتها الكونتيسة بانيتى فعلا .

ـ وهل رأيتها ؟

ـ كلا . ولكنها فى نحو الخامسة والسبعين من العمر .

وتمدد فوق الفراش متكدر المزاج ، مهموما . وكانت الدنيا لا تزال تمطر عندما صحا من نومه ، وجرح نفسه وهو يحلق ذقنه .

وقال يسأل زوجته وهى تقدم له طعام الافطار :

ـ هل تستمرين فى ابحاثك ؟

أجابته بلهجة الجد :

ـ هل هناك ما تريد ؟

ـ لا ادرى .. ولكن الآن وقد بدات ...

واشترى جريدته فى شارع فولتير ، ولم يجد فيها اية تصريحات جديدة لفيليب ليوتار ، ولا اى تحد جديد . وكان بواب الليل بفندق كلاريدج كتوما لان الجرائد لم تتحدث عن الكونتيسة بانيتى .

وهناك ، فى ادارة الامن ، كان لوكاس قد حل محل تورينس فزوده

بتعليماته . وراحت الآلة تدور .. كانوا يبحثون الآن عن الكونتيسة بانيتى ، على ساحل الكوت دازور ، وفى العواصم الاوروبية ، وراحوا يهتمون فى نفس الوقت بكرينكر والوصيفة .

وفى موقف الاوتوبيس ، وقف رجل ، فى حمى من المطر الذى راح يهطل ، واخذ يطالع جريدته . وكان هناك عنوان كبير فى صدر الجريدة جعل القوميسير يحلق فى جو من الاحلام :

« التحقيق يتخبط »

كم شخصا فى هذه اللحظة بالذات يحققون فى هذه القضية ؟ .. كانوا يراقبون محطات السكك الحديدية ، والموانىء والمطارات ، ويستمرون فى تفتيش الفنادق والغرف المفروشة ، لا فى فرنسا وحدها ولكن فى لندن ، وبروكسل وامستردام وروما ... بحثا عن الفريد موس .

هبط ميجريه ميدان تورين ودخل محل فوج لكى يشترى علبة سجائر ، ولكى يشرب فى نفس الوقت كأسا من النبيذ الابيض . ولم يكن هناك صحفيون بالمكان وانما اجتمع بعض أهالى الحى وراحوا يتكلمون ويتناقشون فيما بينهم .

وكان باب ورشة التجليد مغلقا فطرقه ، ولم يلبث ان رأى فرناند تصعد من القبو عبر السلم الحلزونى وقد جمعت شعرها فى حلقات كما تفعل مدام ميجريه . وترددت حين عرفته خلال الزجاج ، ولكنها تقدمت أخيرا وفتحت له :

ـ أريد ان اتحدث معك لحظة .

وكان الجو رطبا فى السلم لان المرمد لم يشتعل .

ـ تفضل بالهبوط .

وتبعها الى المطبخ ، وكانت منهمكة فى العمل عندما طرق الباب ، وكان التعب باديا عليها هى الاخرى ، وعيناها تعكسان ما يخامرها من يأس . وقالت :

ـ هل تريد فنجانا من القهوة ؟ .. اننى أعددتها لتوى .

وقبل . وجلس بجوار المائدة . وجاءت أخيرا وجلست بجواره وهى تضم طرفى ثوبها حول ساقيها العاريتين .

ـ لقد جاءك الفونسى أمس مرة أخرى ، فماذا كان يريد ؟

ـ لا ادرى . انه يلقى نفس الاسئلة التى تلقيها انت ، ويوصينى ان اكون منك على حذر .

ـ هل تحدثت معه عن محاولة التسمم ؟

ـ نعم .

ـ لماذا ؟

ـ انك لم تطلب منى أن أتكتم أمرها ، ولا ادرى كيف جاء ذلك فى الحديث . انه يعمل من اجل ليوتار ، ومن الطبيعى ان يكون هذا الاخير على علم بكل شىء .

ـ ألم يأت أحد آخر لزيارتك ؟

خيل له انها ترددت . ولكن قد يكون ذلك رد فعل للتعب الذى تعانيه . وكانت قد تناولت فنجانا من القهوة ، ولا ريب انها تحاول أن تتماسك بالقهوة .

ـ كلا . لا أحد .

ـ هل قلت لزوجك انك لن تذهبى اليه بالطعام بعد اليوم ؟ .. وهل ذكرت له السبب ؟

ـ تمكنت من ابلاغه بذلك وأشكرك .

ـ ألم يكلمك أحد فى التليفون ؟

ـ كلا . سمعت رنين الجرس مرة أو مرتين ، ولا اكاد اصعد حتى يكف الرنين .

أخرج صورة الفريد موس من جيبه عندئذ وسألها : هل تعرفين هذا الرجل ؟

نظرت الى الصورة ثم الى ميجريه ، واجابت بكل بساطة : نعم ، فهو الفريد ، أخو زوجى .

ـ متى رايته آخر مرة ؟

ـ اننى أراه فيما ندر . تمر أحيانا سنة دون ان أراه ، فهو يعيش فى اغلب الاوقات فى الخارج .

ـ هل تعرفين اى عمل يزاول ؟

ـ ليس تماما . ولكن فرانز يقول انه مسكين .. فاشل . لم يحالفه الحظ أبدا .

ـ ألم يحدثك عن مهنته ؟

ـ اعرف انه اشتغل فى السيرك فى وقت من الاوقات ، وانه كان بهلوانا ، ولكنه وقع وانكسر عموده الفقرى .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ سمعت انه يعمل وكيلا للممثلين .

ـ هل قيل لك ان اسمه ليس ستوفيل كزوجك وانما موس . هل فسر زوجك لك ذلك ؟

ـ نعم .

وسكتت لحظة مترددة . ونظرت الى الصورة التى تركها ميجريه فوق المائدة ، على مقربة من فناجين القهوة ، ثم نهضت لكى تطفئ موقد الغاز ، وقالت :

ـ لا ريب اننى خمنت الحقيقة شيئا ما . ولعلك اذا سألت فرانز فى هذه النقطة تعلم منه أكثر . انك تعرف ان أهله كانوا فقراء جدا ، ولكن ليست هذه كل الحقيقة ، والواقع ان أمه كانت تزاول ، فى جاند ، نفس العمل الذى كنت أزاوله انا هنا . ثم انها كانت تدمن الشراب فوق ذلك ، ولعلها أصيبت بلوثة لانها أنجبت ستة اولاد او سبعة ، ولم تكن تعرف اغلبهم .

« وقد اختار فرانز فيما بعد اسم ستوفيل ، وكانت أمه تدعى موسلير .

ـ هل ماتت ؟

ـ أظن ذلك ، فهو يتجنب الحديث عنها .

ـ وهل بقى على صلة باخوته وأخواته ؟

ـ لا أظن ذلك . لا يوجد غير الفريد الذى يأتى من وقت لآخر ليراه فيما ندر .

« ولا ريب انه عرف الحياة بحلوها ومرها لانه يأتى احيانا وهو فى منتهى الاناقة ، يبدو عليه الثراء ويهبط من سيارة اجرة امام

المحل ، ويداه محملتان بالهدايا واحيانا اخرى فى حالة يرثى لها .

ـ متى رايته لآخر مرة ؟

ـ دعنى أفكر ... منذ شهرين تقريبا .

ـ وهل بقى لتناول الفداء ؟

ـ نعم . كعادته .

ـ ألم يحاول زوجك اقصاءك عند زيارته ، بأية حجة ؟

ـ كلا . ولماذا ؟ كان يحدث أن يبقيا وحدهما فى المحل ، ولكننى كنت أستطيع أن اسمع ما يقولان وانا فى المطبخ ، نحت .

ـ وفيما كان يدور حديثهما ؟

ـ فى لا شىء على وجه الخصوص . كان موس يتكلم عادة عن الوقت الذى كان يعمل فيه بهلوانا ، وعن البلاد التى زارها ، وكان هو الذى كان يتكلم دائما تقريبا عن حداثتهما وعن أمهما . وقد عرفت بعض المعلومات بهذه الطريقة .

ـ أظن ان الفريد هو الاصغر .

ـ بثلاث او أربع سنوات . وكان يحدث ان يخرج فرانز بعد ذلك ويرافقه حتى آخر الشارع . وتلك هى اللحظة الوحيدة التى لا اكون فيها معهما .

ـ ألم يتكلما عن العمل ابدا ؟

ـ أبدا .

ـ ألم يأت الفريد أبدا وبرفقته بعض الاصدقاء او الصديقات ؟

ـ كنت أراه وحده دائما . وأظن انه تزوج مرة ، ولكننى لست واثقة . يخيل لى انه أشار الى هذا الموضوع ذات مرة . مهما يكن فقد أحب امرأة وتعذب من اجلها .

كان الجو رطبا وهادئا فى المطبخ الصغير ، ولم يكن فى المستطاع رؤية اى شىء فى الخارج . وكان لابد من اضاءته طوال النهار . وكان ميجريه يؤثر أن يرى فرانز ستوفيل امامه وأن يتحدث معه كما يتحدث مع زوجته .

ـ قلت لى حين أتيت آخر مرة انه لم يكن يخرج وحده تقريبا .

ومع ذلك فقد كان يذهب الى البنك من وقت لآخر .

ـ ولكننى لا أدعو ذلك خروجا ، فان البنك على بعد خطوتين ، ولم يكن يتعين عليه الا اجتياز ميدان فوج .

ـ وبمعنى آخر تبقيان معا من الصباح حتى المساء .

ـ تقريبا . كنت اذهب واشترى ما احتاج اليه من السوق في الحى المجاور ، ولكن كان يحدث ان اذهب مرة كل شهر لكى اشترى ما احتاج اليه من وسط المدينة .

ـ الا تذهبين لزيارة اسرتك ابدا ؟

ـ ليس لى غير امى واختى فى كونكارنو ، وكان لابد لى من تلك البرقية لكى أذهب لزيارتهما .

بدا كان شيئا ما كدر ميجريه لانه قال : الم يكن هناك يوما معينا تخرجين فيه ؟

ـ كلا ، فيما عدا يوم الغسيل بالطبع .

ـ الا تغسلين الثياب والمفروشات هنا ؟

ـ واين تريد منى ان اقوم بذلك ؟ . . كان يجب ان اذهب لاحضار الماء من فوق ، ولا استطيع ان انشر الغسيل فى المحل فهو لن يجف فى القبو . اننى امضى الى المغسل ، على شاطىء السين مرة كل أسبوع صيفا وكل أسبوعين شتاء .

ـ فى أى مكان ؟

ـ فى ميدان فيرجالان ، تحت الجسر . واقضى هناك نصف يوم ، ثم أذهب فى صباح اليوم التالى لاحضار الغسيل بعد جفافه .

بدا ميجريه يحس بشىء من الارتياح ، وراح يدخن غليونه فى سرور وقد اتقدت عيناه ، وقال :

ـ معنى هذا ان فرانز يبقى وحده هنا يوما فى الاسبوع صيفا ويوما كل أسبوعين شتاء ؟

ـ انه لا يبقى وحده اليوم كله .

ـ هل تذهبين الى المغسل صباحا أو بعد الظهر ؟

ـ بعد الظهر . حاولت ان أذهب فى الصباح ، ولكن تعذر على ذلك بسبب الطبيخ واعمال البيت .
ـ هل معك مفتاح البيت ؟
ـ نعم .
ـ هل حدث ان استخدمته فى بعض الاحيان ؟
ـ ماذا تعنى ؟
ـ هل حدث ذات مرة انك لم تجدى زوجك فى المحل عند عودتك .
ـ حدث هذا مرة او مرتين .
ـ حديثا ؟
كانت قد فكرت فى هذا الامر هى الاخرى لانها ترددت قبل ان تقول : فى الاسبوع الذى ذهبت فيه الى كونكارنو .
ـ وهل عاد بعد عودتك بوقت طويل ؟
ـ كلا ... بعد ساعة تقريبا .
ـ الم تسأليه اين ذهب ؟
ـ اننى لا أسأله أبدا فهو حر فى حركاته ولا القى عليه اى سؤال .
ـ الا تعرفين اذا كان قد غادر الحى ؟ .. ألم تشعرى بأى انزعاج ؟
ـ كنت واقفة بعتبة الباب عندما عاد . رايته يهبط من الاوتوبيس فى شارع جران بورجوا .
ـ وهل كان الاوتوبيس قادما من وسط المدينة او من ناحية الباستيل ؟
ـ من وسط المدينة .
ـ اظن ان الاخوين لهما نفس القامة كما يبدو من هذه الصورة ؟
ـ نعم . ان الفريد يبدو انحف لانه وجهه رفيع ، ولكن جسده قوى العضلات . انهما لا يتشابهان فى شىء الا فى الشعر فهو اشقر كفرانز ولكن الشبه يبدو بينهما غريبا من ظهرهما مع ذلك . وقد حدث لى مرة ان خلطت بينهما .
ـ ماذا كان الفريد يرتدى فى المرات التى رايته فيها ؟
ـ سبق ان قلت لك ذلك .

ـ هل تظنين انه اقترض مالا من اخيه ؟

ـ اننى فكرت فى هذا الامر ، ولكن يبدو لى انه مجرد احتمال لان ذلك لم يحدث امامى على كل حال .

ـ الم يكن يرتدى بذلة زرقاء فى آخر مرة رايته فيها ؟

حدقت فيه وقد أدركت ما يرمى اليه وقالت : اننى اكاد اكون واثقة من انه كان يرتدى بذلة غامقة اللون ، ولكنها سمراء اكثر منها زرقاء . ان المرء اذا ما ظل يعيش بين الانوار الصناعية يختلط عليه الامر .

ـ كيف تدبران امركما بالنقود ، انت وزوجك ؟

ـ اية نقود ؟

ـ هل كان يعطيك مصروف البيت كل شهر ؟

ـ كلا . كنت أطلب منه ما أريد عندما يفرغ ما معى .

ـ اما كان يحتج أبدا ؟

تورد وجهها وأجابت : انه كان شارد الذهن ، وكان يخيل اليه دائما انه أعطانى نقودا بالامس ، وكان يقول لى « فاتنى » ؟ ..

ـ وحاجياتك الخاصة ؟ .. ثيابك وقبعاتك ؟

ـ اننى انفق القليل كما تعلم .

وسألته بدورها كما لو كانت قد انتظرت هذه اللحظة منذ وقت طويل :

ـ اسمع أيها القوميسير . انا لست ذكية جدا ، ولكننى لست غبية كذلك ، انك استجوبتنى انت ومفتشوك ، وكذلك الصحفيون وغيرهم من المتعهدين وأهل الحى . بل ان فتى فى السابعة عشرة من عمره يبدو انه مخبرا استوقفنى فى الشارع وألقى على أسئلة أعدها من قبل فى دفتر صغير ، فأجبنى الآن بصراحة : هل تظن ان فرانز مذنب ؟

ـ مذنب بأى شىء ؟

ـ انك تعرف ما اعنى تماما .. هل تظن انه قتل رجلا واحرق جثته فى المرمد ؟

تردد . كان فى مقدوره ان يقول لها اى شىء ، ولكنه حرص على ان يكون صريحا فقال : لا ادرى .

ـ اذا كان الامر كذلك فلماذا تبقونه فى السجن .
ـ ليس هذا من شأنى اولا وانما هو من شأن قاضى التحقيق ، ثم لا تنسى ان كل الادلة المادية ضده .
قالت ساخرة : الاضراس ؟
ـ وبقع الدم التى فوق السترة الزرقاء على وجه الخصوص ... ثم ، لا تنسى كذلك الحقيبة التى اختفت .
ـ والتى لم ارها .
ـ لا اهمية لهذا فقد رآها غيرك ... احد مفتشى البوليس على الاقل . ثم هناك تلك البرقية المزيفة التى تسببت فى ابعادك عن المحل فى ذلك الوقت بالذات . ولكننى أقول لك الآن لو ان الامر يتعلق بى انا لآثرت ان أرى زوجك مطلق السراح ، وان كنت اتردد فى اطلاق سراحه لصالحه هو . ألم ترى ما حدث بالامس ؟
ـ نعم . اننى افكر فى هذا الامر بالذات .
ـ سواء كان مذنبا أو بريئا فيبدو انه يضايق بعض الناس .
ـ لماذا جئتنى بصورة اخيه ؟
ـ لانه . على عكس ما تعتقدين ، مجرم شديد الخطر .
ـ هل قتل احدا ؟
ـ هذا غير محتمل ، فان هذا النوع من الرجال نادرا ما يقدمون على القتل . ولكن بوليس ثلاث دول يبحثون عنه ، وهو يعيش منذ خمسة عشر عاما من نتاج السرقة والنصب والاحتيال . أيدهشك هذا ؟
ـ كلا .
ـ هل سبق ان فكرت فى هذا ؟
ـ عندما قال لى فرانز ان اخاه تعيس خيل لى اننى فهمت انه استخدم كلمة تعيس فى غير معناها الحقيقى . هل تعتقد ان الفريد قمين باختطاف طفل ؟
ـ اقول لك مرة اخرى اننى لا ادرى . وبهذه المناسبة ، هل سبق ان سمعت عن الكونتيسة بانيتى ؟
ـ ومن هى ؟
ـ ايطالية غنية كانت تقيم فى فندق كلاريدج .
ـ هل اشتركت فى قتل احد هى الاخرى ؟

ـ هذا محتمل . ويحتمل ايضا انها تقضى الموسم فى كان او فى نيس . سأعرف هذا مساء اليوم . ولكننى اريد القاء نظرة اخرى على دفاتر حسابات زوجك .

ـ تعال . ان لدى اسئلة كثيرة اريد القاءها عليك ، ولا تحضرنى الآن . ولا اتذكرها الا بعد انصرافك . يجب ان ادونها كما يفعل ذلك الشاب الذى يهوى مهنة المخبر السرى .

وافسحت له الطريق لكى يهبط السلم . واخذت من فوق الرف دفترا كبيرا اسود فحصه البوليس قبل ذلك خمس أو ست مرات . وكان فى آخره فهرست صغير بأسماء عملاء المجلد ، ولم يكن اسم بانيتى بينهم ، ولا اسم كرينكر كذلك .

ـ الم تسمعى اسم كرينكر ابدا ؟

ـ كلا ، بقدر ما اذكر . كنا نقضى معا طول الوقت ، ولكننى لم اكن اعتقد انه يحق لى ان ألقى عليه اى سؤال ، ويبدو انك نسيت يا سيدى اننى لست كفيرى من السـيدات ، ولا تنس من اين انتشلنى ، وطالما ادهشتنى حركته هذه . ويخيل لى الآن ، بسبب حديثنا هذا ، انه ربما فعل ما فعل وهو يفكر فى امه .

ومضى ميجريه ، كما لو كان لا يصغى الى الباب وفتحه فجأة ، وامسك بالفونسى من ياقة معطفه وقال له :

ـ انت هنا ؟ .. هل تبدأ ؟ .. وهل استقر رأيك على ان تتبعنى كظلى ؟

حاول الآخر ان يتبجح ، ولكن قبضة ميجريه كانت من حديد ، واخذ يهزه وهو يقول :

ـ ماذا تفعل هنا ؟ هل لك ان تقول لى ذلك ؟

ـ كنت أنتظر ان تنصرف .

ـ لكى تزعج هذه المرأة .

ـ هذا حقى ... ما دامت تقبل أن تستقبلنى .

ـ ماذا تريد ؟

ـ سل مسيو ليوتار .

ـ انني لا أحفل بليوتار ، وانبهك الآن الى شيء .. اذا وجدتك في اعقابي مرة اخرى فسألقي القبض عليك بتهمة التشرد واحتراف القوادة .

ولم يكن قوله هذا تهديدا في الهواء ، فقد كان ميجريه يعلم ان المرأة التي تعيش مع الفونسي تقضي أغلب لياليها في كباريهات وانها لا تتردد في الذهاب مع الاغراب الى فنادقهم .

وعندما عاد الى فرناند كان يشعر بالارتياح . أما المفتش السابق فكان يسرع ، تحت المطر ، نحو ميدان فوج .

ـ أي نوع من الاسئلة يلقيها عليك ؟

ـ نفس الاسئلة دائما . يريد أن يعرف ماذا تسألني انت وبماذا أرد عليك وما الذي يهمك ، وما هي الاشياء التي فحصتها .

ـ أظن انه سيدعك وشأنك بعد الآن .

ـ هل تظن انه مسيو ليوتار يضر بزوجي .

ـ مهما يكن فلايسعنا الا أن نتركه يفعل ما يريد بعد ان بلغ الامر ما بلغ .

واضطر أن يهبط مرة أخرى لانه نسي صورة موس على مائدة المطبخ . وبدلا من ان يمضي الى ادارة الامن عبر الشارع ودخل محل الاسكافي .

وكان هذا قد شرب كئوسا كثيرة على الرغم من ان الساعة لم تتجاوز التاسعة صباحا ، وراحت رائحة النبيذ الابيض تفوح من بين شفتيه ، وقال :

ـ حسنا يا سيدي القوميسير . هل يتقدم التحقيق ؟

وكان المحلان ، يقع كل منهما أمام الآخر تماما حيث كان كل من صاحبيهما يرى الآخر اذا ما رفع عينيه عن عمله . وساله ميجريه :

ـ هل تتذكر شيئا عن بعض عملاء المجلد ؟ .. هذا مثلا ؟

ووضع الصورة تحت أنف الرجل في حين كانت فرناند تنظر اليهما في قلق :

وقال الاسكافى : اننى ادعوه المهرج .

ـ ولماذا ؟

ـ لا ادرى . لاننى اجد أنه يشبه المهرج .

وحك راسه فجأة ، وبدا كأنه اكتشف شيئا هاما وقال : اسمع . قدم لى كأسا فانى أظن ان لدى من المعلومات ما يساوى ذلك . ومن حسن الحظ انك عرضت على هذه الصورة . اننى حدثتك عن المهرج وقد ذكرتنى هذه الكلمة بحقيبة ، لان المهرجين من عاداتهم الظهور على خشبة المسرح وفى أيديهم حقيبة ، فهل تقدم لى كأسا ؟

ـ بعد ان تتكلم .

ـ هل انت متشكك ؟ .. انك مخطىء فأنا رجل صريح دائما . حسنا . ان الرجل الذى اريتنى صورته هو صاحب الحقيبة بدون شك .

ـ اى حقيبة ؟

غمز الاسكافى له بعينه فى خبث وقال : لا تتلاعب معى . اننى اقرا الجرائد ، وقد تكلمت عن الحقيبة فى أول الامر ، ثم اقبل رجالك وسألونى اذا لم أكن قد رأيت فرانز يخرج ومعه حقيبة .. هو أو زوجته أو أى شخص آخر .

ـ وهل رايت صاحب الصورة يخرج ومعه الحقيبة .

ـ ليس فى ذلك اليوم وانما فى أوقات اخرى .

ـ وهل كان يأتى كثيرا ؟

ـ نعم .

ـ مرة كل اسبوع أو كل اسبوعين مثلا ؟

ـ لا استطيع القول ... كل ما استطيع ان اقول هو انه كان يأتى كثيرا .

ـ فى الصباح او بعد الظهر ؟

ـ بعد الظهر . هل تعرف لماذا ؟ .. لاننى اتذكر اننى رايته والمصابيح موقدة .. ومعنى هذا اننى كنت أراه بعد الظهر . وكان يأتى دائما وفى يده حقيبة صغيرة .

ـ سمراء ؟

ـ طبعا . أليست اغلب الحقائب سمراء . كان يجلس فى ركن من الورشة وينتظر حتى يفرغ المجلد من عمله ثم ينصرف والحقيبة فى يده .

ـ وهل كان يبقى مدة كبيرة ؟

ـ لا أدرى . أكثر من ساعة طبعا . وكان يخيل لى احيانا انه بقى طوال فترة بعد الظهر .

ـ هل كان يأتى فى أيام محددة ؟

ـ لا أدرى .

ـ فكر جيدا قبل أن ترد . هل سبق ان رأيت هذا الرجل فى الورشة فى نفس الوقت مع مدام ستوفيل ؟

ـ فى نفس الوقت مع فرناند ؟ .. انتظر .. لا أذكر ذلك . لقد انصرف الرجلان معـــا مرة على كل حال ، وأغلق فرانز المحـــل عندئذ .

ـ هل كان ذلك حديثا ؟

ـ يجب أن أفكر .. متى تقدم لى هذه الكأس .

واضطر ميجريه أن يتبعه الى مقهى تورين ، وهناك قال الاسكافى مزهوا :

ـ اعطنى كأسا من النبيذ ، على حساب القوميسير .

وشرب ثلاث كئوس ، الواحدة بعد الاخرى . وأراد ان يبدأ قصته مع المهرج عندما تخلص ميجريه منه . وبينما كان هذا الاخير يمر أمام ورشة التجليد نظرت فرناند اليه من خلال الزجاج فى شىء من اللوم .

ولكن كان لابد له ان يفرغ من مهمته حتى النهاية فدخل غرفة النوابة وعرض عليها الصورة قائلا :

ـ هل تعرفين هذا الرجل ؟

أخذت المرأة نظارتها من الدرج ونظرت الى الصورة ثم قالت :

اننى لا أعرف اسمه اذا كان هذا ما تريد . ولكننى رأيته من قبل . الم يخبرك الاسكافى ؟

كانت تشعر بالغيرة لانه استجوب أناسا آخرين قبلها .

ـ هل رأيته كثيرا ؟

ـ اننى رأيته ، وهذا كل ما اعرف .

ـ اهو من عملاء المجلد ؟

ـ لا شك فى ذلك لانه كان يختلف الى محله .

ـ الم يأت فى مناسبات اخرى ؟

ـ أظن انه تناول العشاء معهما مرة . ولكننى لا اهتم كثيرا بالسكان .

وكان الامر واحدا فى المحلات الاخرى المواجهة ، فقد ذكر له صاحب المكتبة وصاحبة محل المجوهرات وغيرهما نفس الشىء ... انهم راوا الرجل ولكنهم لا يتذكرون أين ولا يذكرون فى اية مناسبة .

وكان على وشك ان يغادر الحى عندما تذكر محل السجاير . وما ان رأى صاحب المحل الصورة حتى قال : انه صاحب الحقيبة .

ـ تكلم .

ـ اننى لا اعرف ماذا يبيع ، ولكن لا ريب انه يتنقل بين البيوت . وقد جاءنى مرارا ، بعد الغداء بقليل ، وكان يتناول كأسا من المياه المعدنية لانه يشكو من قرحة فى معدته كما قال لى .

ـ هل كان يبقى كثيرا ؟

ـ أحيانا ربع ساعة ، وأحيانا اكثر . كان يجلس دائما فى نفس المكان ، بجوار النافذة .

واشار الرجل الى مكان يستطيع منه الجالس ان يرى جانبا من شارع تورين .

ـ لا ريب انه كان ينتظر حلول موعد مع احد عملائه . وذاك مرة ، وكان ذلك غير بعيد ، بقى اكثر من ساعة ، وتكلم فى التليفون

ـ ألا تعرف مع من تكلم ؟

ـ كلا . وعندما عاد مكانه أخذ حقيبته وانصرف على الفور .

ـ والى أية جهة ذهب ؟

ـ لم أهتم بذلك .

ودخل أحد الصحفيين ، فتحول الرجل الى ميجريه وسأله فى صوت خافت : هل أستطيع أن اتحدث عن ذلك .

هز ميجريه كتفيه . لم يكن هناك جدوى من الكتمان الآن ، بعد أن عرف الاسكافى القصة . وقال : اذا شئت .

وعندما دخل الى مكتب لوكاس ، كان هذا يعالج جهازين من أجهزة التليفون فى وقت واحد . واضطر ميجريه أن ينتظر بعض الوقت .

وتنهد البريجادير أخيرا وقال وهو يجفف عرقه : ما زلت أتعقب الكونتيسة . ان شركة عربات النوم تعرفها جيدا ولم ترها منذ شهور طويلة فى أى خط من خطوطها . وقد اتصلت بأغلب فنادق الدرجة الاولى بكان ونيس والانتيب وفيلفرانش ولكننى لم أعثر لها على أثر . واتصلت كذلك بالكازينوهات ، ولكن قيل لى ان أحدا لم يرها فى الآونة الاخيرة ، ولابوانت يتكلم الانجليزية كما تعرف وهو يتصل الآن باسكوتلانديارد ، وهناك من يهتم بايطاليا .

وقبل أن يمضى ميجريه الى القاضى دوسان ذهب الى مويرز فى معمله ، وأعاد اليه الصور التى لم يعد لها فائدة . وسأله مويرز قائلا :

ـ ألم تصل الى نتيجة ؟

ـ اننى عرفت واحدا منهم ، وهذا شىء لا بأس به . ويبقى علينا الآن أن نعثر على الاثنين الآخرين . ولكن من الجائز انه ليست لهم أية سوابق .

وعند الظهر لم يكن أحد قد اهتدى الى الكونتيسة بانيتى بعد ، ولكن سمع صحفيان ايطاليان بالامر وانتظرا ميجريه عند باب مكتبه وهما فى أشد حالات الانفعال .

(٧)

ميجريه فى يوم الاحد

دهشت مدام ميجريه قليلا عندما اتصل بهـا زوجها ، فى نحو الساعة الثالثة من يوم السبت لـكى يسـألها اذا كانت قد اعدت الطعام .

ـ لم اعده .. لماذا .. ماذا تقول ؟ .. طبعا اريد .. هذا اذا كنت واثقا انك تستطيع التحرر من مشاغلك . اتفقنا .. سـأكون هناك ، بجوار الساعة .. كما اريد .. هل تمزح ؟ .. هذا جميل وان كنت اتوقع انك ستتصل بى بعـد ساعة لـكى تقول ان لديك ما يشغلك وانك لن تعود لا للعشاء ولا للنوم .. حسنا ، سأستعد على كل حال .

ولكن ميجريه لم يخل بوعده هذه المرة . ودخل هو وزوجته فى الساعة الخامسة ذلك المطعم الالزاسى الكائن بشارع انفيينى ، حيث اعتاد الاختلاف اليه أحيانا ، وتناولا العشاء فيه . وقال ميجريه يسأل زوجته بعد ان فرغا منه :

ـ هل اخترت السينما ؟

كان ذلك هو السبب فى الدهشة التى اعترت مدام ميجريه عندما تحدث زوجها اليها فى التليفون ، فقد دعاها لقضاء السهرة فى السينما التى تريد ، ومضيا الى سينما بارامونت ، ووقف القوميسير فى الصف أمام شباك التذاكر دون أن يتذمر وأفرغ غليونه فى منفضة كبيرة ، وسمعا الموسيقى التمهيدية ، ولم تفهم مدام ميجريه الحقيقة الا بعد الرسوم المتحركة ، فقد عرضت دار السينما بضع لقطات من الفيلم القادم ثم بعض الافلام القصيرة الدعائية ثم ظهرت فجأة على الشاشة هذه الكلمات :

« جاءنا البلاغ الآتى من ادارة الامن العام »

وكانت هذه اول مرة ترى فيها مثل هذه الاشارة على شاشة السينما ، وعرضت الدار بعد ذلك على الفور بعض الصور التى تمثل الفريد موس .. صورة كاملة لوجهه ثم بعض الصور الجانبية له واعقبتها هذه الكلمات :

« المرجو من كل من راى هذا الرجل خلال الشهرين الماضيين الاتصال تليفونيا للضرورة بـ ...

وقالت اخيرا وهما فى طريق العودة الى البيت : كان هذا هو السبب اذن ؟

ـ ليس هذا فحسب . ثم اننى لست صاحب الفكرة . ولكننا لم نجد الفرصة لتنفيذها قبل اليوم ، فقد لاحظ مويرز ان الصور التى تنشرها الجرائد تكون مشوهة عادة بسبب نقل الكليشيهات والحبر . اما اذا كبرنا الصورة فى السينما فانها تأتى بالنتيجة المطلوبة دون اى شك .

ـ مهما يكن من امر فاننى استفدت من ذلك . هل تعرف منذ متى لم نذهب الى السينما .

قال مخلصا : منذ ثلاثة اسابيع .

ـ بل منذ شهرين ونصف بالتمام .

وفى صباح يوم الاحد مضى الى ادارة الامن العام سيرا على قدميه فى الشوارع التى تكاد تكون مقفرة . وكان يسره دائما ان يجد نفسه فى ممرات ادارة البوليس الجنائى والابواب مفتوحة على المكاتب الشاغرة .

وكان نوكاس قد اقبل لتوه . وكان تورينس موجودا ، وكذلك جانفييه ولم يلبث ان جاء لابوانت . ولان اليوم كان يوم احد راح الجميع يعملون كما لوكانوا من الهواة .

وكان لابوانت هو الوحيد الذى اتى بمعلومة جديدة ، فقد سأله ميجريه فى اليوم السابق ، عند انصرافه :

ـ هل تعرف اين يقيم ذلك الصحفى الذى يغازل اختك ؟

ـ انه لم يعد يغازلها .
ـ هل تخاصما ؟
ـ لا ادرى . ولكن لعله خائف منى .
ـ انى اريد عنوانه .
ـ ولكننى لا اعرفه . انى اعرف انه يتناول طعامه فى اغلب الاوقات . ولا اظن ان اختى تعرفه هى الاخرى . سأستعلم فى الجريدة .

وعندما اقبل اعطى قطعة من الورق ليجريه فيها العنوان المطلوب : شارع بروفانس . فى نفس المنزل الذى يقيم فيه فيليب ليوتار .

وقال القوميسير : حسنا يا صغيرى . شكرا لك .

ولم يزد .

ولو ان الطقس كان اشد حرارة لخلع جاكتته ولبقى بقميص كما يفعل الناس يوم الاحد . حين ينجزون اعمال البيت التى تحتاج الى اصلاح وترميم . وقد كان بحاجة الى مراجعة مذكراته فاخرج من جيبه دفتره الضخم الذى يحشوه دائما بملاحظاته التى لا يراجعها ابدا تقريبا .

وسطر بعض الملاحظات فى ورقة ولكنه لم يلبث ان كورها ، والقى بها فى سلة المهملات . واعاد الكرة مثنى وثلاث .

وبدات القضية تتضح اخيرا .. وكان قد كتب :

يوم الخميس ٥ آ فبراير : غادرت الكونتيسة بانيتى فندق كلاريدج وبرفقتها خادمتها جلوريا لوتى . واستقلتا سيارة صهرها كرينكر .

كان قد عرف التاريخ من بواب الفندق ، وكان هذا الاخير على يقين من ذلك . اما السيارة فقد عرف بأمرها الموظف المختص بمرأب السيارات الخاصة بالفندق ، وقد أكد له ان الكونتيسة غادرت الفندق فى الساعة السابعة مساء ، واردف يقول انها كانت تبدو مهمومة . وان صبرها كان يستعجلها كما لو كانا ذاهبين للحاق باحد القطارات او الى موعد هام .

ولكن لم يعثر احد على الكونتيسة حتى الآن . ومضى الى مكتب لوكاس لكى يتأكد من ذلك . ولم يكن قد جاء الى هذا الاخير خبر جديد .

اما البوليس الايطالى فقد جاءهم بمعلومات مفيدة فقالوا انهم يعرفون الكونتيسة بانيتى طبعا . وقد تسببت ابنتها الوحيدة بيللا فى اثارة الرأى العام فى ايطاليا لانها هربت من البيت وتزوجت فى مونت كارلو ، عندما رات ان امها لا توافق على الزواج .

ولكن كان ذلك منذ خمس سنوات . ومنذ ذلك الوقت والام والابنة لا تلتقيان . وقالت الصحف الايطالية انه اذا كان كرينكر فى باريس . فلا ريب انه يحاول ان يتصالح مع الكونتيسة بانيتى .

يوم الجمعه ١٦ فبراير : ذهبت جلوريا لوتى وعلى راسها قبعة الكونتيسة البيضاء الى كونكارنو ، ومن هناك ارسلت برقية الى فرناند ستوفيل ثم عادت فى نفس الليلة من غير ان تلتقى باحد .

يوم السبت ١٧ فبراير : غادرت فرناند شارع تورين فى الظهر ومضت الى كونكارنو ولم يرافقها زوجها حتى المحطة . وفى نحو الساعة الرابعة اقبل عميل يبحث عن بعض الكتب المجلدة ووجد فرانز ستوفيل فى المحل . وبسؤاله عن الحقيبة لم يتذكر انه رآها .

وفى الساعة الثانية وبضع دقائق ، استقل ثلاثة رجال ، من بينهم الفريد موس دون اى شك زاعما ان اسمه ليفين ، ومضوا جميعا الى محطة سان لازار ، عند ناصيتى شارع تورين وجران بورجوا .

وسمعت البوابة قبيل الساعة التاسعة طرقا على باب ستوفيل وخامرها احساس بأن الرجال الثلاثة قد دخلوا المحل .

وكتب بوارو على الهامش بالقلم الاحمر : ايكون كرينكر هو الرجل الثالث .

يوم الاحد ١٨ فبراير : المرمد الذى لم يشتعل فى الايام الاخيرة ظل يعمل طوال الليل ، ولا ريب ان فرانز ستوفيل قام بنقل الرماد الى القمامة اكثر من خمس مرات . وقد ضايق دخان المرمد الآنسة

بيجن التى تقيم بالدور الرابع وقالت انه كانت له رائحة غريبة .

الاثنين ١٩ فبراير : ما زال المرمد يعمل ، والمجلد وحده طوال اليوم .

الثلاثاء ٢٠ فبراير : وصلت البوليس الجنائى شكوى من مجهول يقول فيها ان رجلا أحرق فى مرمد المجلد . وعادت فرناند من كونكارنو .

الاربعاء ٢١ فبراير : زيارة لابوانت الى شارع تورين . راى الحقيبة ذات المقبض المرمم بواسطة قطعة من الدوبارة تحت مائدة المجلد . وغادر الورشة نحو الظهر وتناول الغداء مع أخته وتحدث معها عن القضية فهل التقت الآنسة لابوانت بعاشقها انطوان بيزار المقيم فى نفس البيت الذى يقيم فيه ليوتار او هل تكلمت معه فى التليفون ؟

وبعد الظهر ، قبل الساعة الخامسة مضى المحامى الى شارع تورين بحجة تجليد كتاب .

وعندما قام لوكاس بتفتيش الورشة فى الساعة السادسة كانت الحقيبة قد اختفت .

واستجوب ستوفيل فى مقر البوليس الجنائى فى آخر الليل تقريبا . وعين مسيو ليوتار للدفاع عنه .

ومضى ميجريه الى جولة صغيرة والقى نظرة على الملاحظات التى تلقاها المفتشون فى التليفون ، ولم يكن الوقت قد حان بعد لكى يطلب ان ياتوه بالبيرة واكتفى ان أشعل غليونا .

الخميس ٢٢ فبراير .

الجمعة ٢٣ فبراير .

السبت ...

عامود طويل من التواريخ وامور كثيرة تافهة لا اهمية لها فيما عدا ان التحقيق يتخبط وان الجرائد تثور وان ليوتار يغلى من الغضب ويهاجم البوليس عموما وميجريه على وجه الخصوص .

الاحد ١٠ مارس : المدعو ليفين يستأجر غرفة فى فندق بوسيجور

بشارع ليبك ويقيم فيها مع غلام فى الثانية من عمره .
جلوريا اونى . التى تقوم بدور الممرضة تهتم بالطفل وتخرج به كل صباح لكى يستنشق الهواء فى ميدان دانفر فى حين ينام ليفين . وهى لا ترقد فى الفندق وتغادره فى وقت متأخر من الليل ، عند عودة ليفين .

الاثنين ١١ مارس : شرحه .

الثلاثاء ١٢ مارس : الساعة التاسعة والنصف . تغادر جلوريا والطفل كعادتهما . العاشرة والربع يحضر موس الى الفندق ويطلب ليفين . ويحزم هذا الاخير حقائبه على الفور ويهبط بها فى حين يبقى موس فى الغرفة .

الحادية عشرة الا خمس دقائق : ترى جلوريا ليفين وتترك الطفل مسرعة ويبقى برفقة مدام ميجريه .

وبعد الحادية عشرة بقليل تدخل فندق بوسيجور مع زميلها ، ويجدان موس ، ويتناقش الثلاثة اكثر من ساعة . وينصرف موس اولا . وفى نحو الساعة الثانية عشرة والنصف تغادر جلوريا وليفين الفندق ، وتركب جلوريا وحدها سيارة اجرة .

وتمضى الى ميدان دانفر وتسترد الطفل .

وتذهب الى بوابة نولى اولا ثم تذكر للسائق عنوان محطة سان لازار ، وتقف فجأة فى ميدان سان اوجستين حيث تركب سيارة أجرة اخرى ، وتغادرها هى والطفل عند ناصية شارع مونمارتر وشارع جران بوليفار .

وبدت الصفحة غريبة الشكل لان ميجريه زينها ببعض الرسومات التى تشبه رسومات الاطفال . وعلى ورقة اخرى سجل التاريخ الذى فقدوا فيه آثار الاشخاص المختلفة .

الكونتيسة بانيتى ١٦ فبراير .

كان الموظف المختص بموقف السيارات آخر من رآها ، وصعدت فى سيارة صهرها كرينكر ؟

تردد ميجريه فى كتابة تاريخ السبت ١٧ فبراير لانه لم يكن هناك اى دليل على انه هو الشخص الثالث الذى هبط من سيارة الاجرة فى آخر شارع تورين .

واذا لم يكن هو فقد ضاع اثره تماما فى نفس الوقت الذى ضاع فيه اثر السيدة العجوز .

الفريد موس : الثلاثاء ١٢ مارس .

ليفين : الثلاثاء ١٢ مارس .

اختفى الاخير بعد الاول بنصف ساعة ، حين اركب جلوريا سيارة الاجرة .

جلوريا والطفل : نفس التاريخ ، ولكن بعد ساعتين ، بين الجمهور فى ميدان مونمارتر .

وهو اليوم فى اليوم السابع عشر من مارس ومنذ اليوم الثانى عشر لم يجد جديد ، فيما عدا التحقيق . أو بالحرى بقى امامه تاريخ يجب ان يسجله فراح يكتب من جديد :

يوم الجمعة ١٥ مارس : حاول شخص فى المترو دس السم فى الطعام المعد لفرانز ستوفيل .

ولكن كان هذا امر مشكوكا فيه ، لان الخبراء لم يجدوا اى اثر للسم وقد كانت فرناند شديدة الانفعال فى الايام الاخيرة ، ومن الجائز انها حسبت حركة خرقاء لراكب محاولة غامضة .

لم يكن الرجل موس على كل حال لانه او كان هو لعرفته على الفور .

ليفين ؟

وكان شعاعا من الشمس قد سقط على وجه ميجريه فقام برسم بضع رسمات اخرى وهو يغمز بعينيه ، ثم مضى الى النافذة ووقف ينظر الى بعض الزوارق وهو تعبر نهر السين .

– جانفييه .. ما رايك فى ان نطلب بيرة .

وطلب جانفييه بعض زجاجات من البيرة وبعض الشطائر ، فى حين اتصل ميجريه بمكتب قاضى التحقيق وعرف ان مسيو دوسان

موجود فى مكتبه هو الآخر . وسأله القاضى قائلا :

ـ الم تأتك ايه انباء عن السيارة .

كان مما يطرب له ان ترى فى ذلك الاحد من ايام الربيع فى القرى ، عند خروج الناس من الكنائس ومن المقاهى رجال الشرطة وهم يرقبون السيارات ويبحثون عن السيارة الكريزلر البنية اللون .

وقال لوكاس . وكان قد ذهب الى مكتب ميجريه بين مكالمتين تليفونيتين :

ـ هل يمكننى ان القى نظرة ايها الرئيس ؟

وفحص قائمة القوميسير فى اهتمام ثم هز رأسه وقال : لماذا لم تطلب منى ذلك ؟ اننى اعددت نفس القائمة ، ولكن بطريقة اكمل .

داعبه ميجريه قائلا : ولكن من غير الرسوم الصغيرة ... اى الانباء تأتيك أكثر ؟ .. أنباء السيارة ام أنباء موس ؟

ـ انباء السيارة فى الوقت الحاضر .. هناك سيارات كثيرة بنية اللون ولكنها لسوء الحظ من طراز آخر غير التى تهمنا . وبدأت المحافظات تتصل بنا وراحت الانباء تتوالى علينا من كل ناحية .

ولم تلبث ان راحت فرنسا كلها تبحث ، بفضل الراديو ، عن السيارة المذكورة . ولم يسعهم الا الانتظار . ولم يكن الامر بغيضا جدا ، وجاء الصبى من الحانة بكمية كبيرة من كئوس البيرة والشطائر .

وبدأوا يأكلون ويشربون . وكانت الشمس دافئة ففتحوا النوافذ . وجاء مويرز وراح يرمش بعينيه كما لو كان قد اقبل من مكان مظلم .

لم يكن أحد يعرف انه فى معمله ، ولم يكن هناك ما يدعوه الى المجىء ، ومع ذلك هبط من المعمل وقال :

ـ ارجو المعذرة لازعاجى اياكما .

ـ هل لك فى كأس من البيرة ؟

ـ كلا . شكرا . عندما أوبت الى فراشى أمس خطرت لى فكرة ، فقد تحدثنا كثيرا عن البذلة الزرقاء التى تخص ستوفيل دون جدال . ولما كانت البذلة لا تزال فوق ، فقد أتيت هذا الصباح لكى أقوم بتحليل ما عليها من تراب .

والواقع ان هذه عادة لم يفكر فيها احد فى القضية الحالية . وقد وضع مويرز كل قطعة من البذلة على حدة ، داخل كيس من الورق المقوى وراح يضرب فوقه بعصا بكل قوته مدة طويلة لكى يخرج منها كل ما علق بها من تراب .

ـ وهل وجدت شيئا ؟

ـ نشارة خشب رفيعة جدا بكمية كبيرة .. أو بالاحرى مسحوق خشب .

ـ كما فى ورشة للخشب .

ـ كلا ، فلو كان الامر كذلك لكانت النشارة أكثر خشونة ولما كانت بهذه الوفرة . ان المسحوق ناتج عن أعمال دقيقة جدا .

ـ نجارة دقيقة مثلا ؟

ـ ربما . لست واثقا من ذلك . انها نشارة أرفع من ذلك . ولكننى أريد ان ارى رئيس المعمل قبل ابداء الرأى .

ومن غير ان ينتظر النتيجة تناول جانفييه دليلا وراح يفحص فيه كل العناوين الموجودة بشارع تورين .

كانت فيه محلات من جميع الحرف ، ولكنها كانت تمت كلها تقريبا الى الحرف المعدنية وصناعة العلب الكرتون . وقال مويرز :

ـ انما اردت ان اطلعكما على ما وصلت اليه فحسب ، وانا فى طريقى ، ولا ادرى ان كان لذلك اية فائدة .

وكان هذا هو رأى ميجريه ايضا ، ففى مثل هذه القضية لا يتوقع احد ابدا ما يمكن ان تكون له فائدة . ومهما يكن فان هذه النشارة تؤكد اقوال فرانز ستوفيل الذى أصر على ان البـــذلة الزرقاء ليست له .

ولكن اذا كان الامر كذلك فلماذا يملك معطفا أزرق لا يتجانس مع البذلة السمراء .

وصلصل جرس التليفون ، وكانت ستة اجهزة تصلصل احيانا فى وقت واحد . وكانت عاملة التليفون لا تدرى ماذا تفعل ، لانه لم يكن هناك ما يكفى من المفتشين لكى يتولوا الرد عليها كلها .

ـ ما هذا ؟

ـ مكالمة من مدينة لاينى .

وكان ميجريه قد ذهب اليها ذات مرة ، وهى مدينة صغيرة تقع على شاطىء نهر المارن يقطنها قوم من الصيادين ، ولم يعد يذكر اية قضية ساقته الى هذه المدينة ، ولكن كان الوقت صيفا ، وكان قد احتسى كاسا من النبيذ الابيض ما زال يذكر مذاقه .

وراح لوكاس يكتب ملاحظاته . ويشير الى القوميسير ان الامر يبدو مهما . وزفر اخيرا وهو يعيد السماعة مكانها وقال :

ـ ربما امسكنا بخيط . ان شرطة مدينة لاينى هى التى تكلمت . فقد وقع شىء منذ شهر ما زال يثير انفعالهم حتى اليوم ... سقطت سيارة فى نهر المارن ...

ـ هل ذكر لك التاريخ بالتدقيق ؟

ـ ١٥ فبراير .

ـ القى ميجريه نظرة الى القائمة التى أعدها وهو يشعر بالفخر لانه فكر فيها وقال :

ـ ١٥ فبراير : غادرت الكونتيسة بانيتى فندق كلاريدج وبرفقتها خادمتها جلوريا لوتى ، واستقلتا سيارة صهرها كرينكر .

وقال لوكاس : اننى فكرت فى هذا الامر ، وسترى ان ما ذكرته لنا شرطة لاينى له أهميته ، فان امراة عجوزا تقطن على شاطىء نهر المارن قالت انها سمعت ، وهى عائدة الى بيتها ليلا ضجة كبيرة فى الظلام ، وانها واثقة ان هذه الضجة ما هى الا صوت سقوط سيارة فى النهر .

« وكانت حركة المد فى هذه اللحظة فى عنفوانها ، وكانت هناك طرقة صغيرة تمتد من الطريق العام وتنتهى عند شاطىء النهر ، وكانت مغطاة بطبقة لزجة من الطين عاقتها من التقدم لاستطلاع الامر

لانها خشيت ان تنزلق وتقع . ولكنها تحدثت عنه فى المقهى فى اليوم التالى ، ومضت بضعة ايام والناس يتناقلون الخبر فيما بينهم حتى وصل النبأ الى سمع مركز الشرطة الذى استدعاها لاستجوابها .

« وانتقل احد الشرطة للمعاينة ، ولكن النهر كان هائجا والتيار عنيفـــا بحيث توقفت حركة الملاحة خمسة عشر يوما . ويبدو ان مستوى الماء اصبح عاديا هذين اليومين الاخيرين فقط .

« ولكننى اعتقد ان الشرطة لم تاخذ المسألة ماخذ الجد .

« غير انهم بعد ان وصلتهم مكالمتنا امس بخصوص السيارة البنية تلقوا مكالمة تليفونية اخرى من رجل يقيم فى آخر الطريق العام ، وفى الناحية المذكورة ، يقول فيها انه راى فى الشهر الماضى ، وفى الظلام سيارة بهذا اللون تدور امام منزله . وهو تاجر بنزين كان يملأ خزان احدى السيارات بالبنزين ، وهـــذا سبب وجوده فى الخارج فى تلك الساعة .

– ومتى كان ذلك ؟

– بعد التاسعة بقليل .

– وبعد ؟

– طلب مركز الشرطة الرافعة من جراج البلدية .

– امس ؟

– بعد ظهر امس . وقد تجمهر الفضوليون ، وتعلقت الرافعة بشىء فى الماء ولكن الليل منعهم من الاستمرار ، ولم يتمكنوا من استخراج السيارة الا صـــباح اليوم . وهى من طراز كريزلر وبنية اللون ، وبداخلها جثة .

– جثة رجل ؟

– بل جثة امراة . وهى تكاد تكون متحللة . وقد انتزع التيار الجزء الاكبر من ثيابها . وشعرها طويل وخطه المشيب .

– اهى الكونتيسة ؟..

– لا ادرى . انهم اكتشفوا الجثة الآن فقط ، وهى ما تزال على الشاطىء وفوقها غطاء . ويسألون ماذا يفعلون بها ، واجبتهم بانى سأتحدث اليك .

وكان موزور قد انصرف قبل ذلك بدقائق . وكان هو الرجل الذى يحتاج الفورستير اليه بالذات . ولم يكن هناك اى امل فى ان يجدوه بينه .

ـ هل لك ان تستدعى الدكتور بول ؟

ورد هذا الاخير على التليفون على الفور . وخاطبه ميجريه قائلا :

ـ هل هناك ما يشغلك ؟ الا يزعجك ان امر بك واصطحبك الى لاينى؟ احضر حقيبة ادواتك ... معا طبعا .. نعم ، كلا ... ان منظر الجثة غير جميل .. امراة عجوز بقيت فى قاع النهر شهرا .

ونظر ميجريه حوله . ورأى لابوانت يحول راسه وقد اصطبغ وجهه . كان الشاب يتلهف لمرافقة رئيسه دون اى شك .

ـ الن نرى صديقتك بعد ظهر اليوم ؟

ـ اوه ، كلا يا سيدى .

ـ هل تعرف قيادة السيارة ؟

ـ انى حصلت على رخصتى منذ سنتين .

ـ اذهب واحضر البيجو الزرقاء وانتظر امام الباب . وتاكد ان بها ما يكفى من البنزين .

ونظر الى جانفييه ، وكانت امارات الخيبة قد ارتسمت ، وقال له :

ـ اما انت فاستقل سيارة اخرى ، وتقدمنا فى الطريق ببطء وسل اصحاب الجاراجات وتجار النبيذ وكل من تشاء . من المحتمل ان يكون هناك من راى السيارة البنية . وسأراك فى لاينى .

واحتسى كاس البيرة ، وبعد بضع دقائق جلس الدكتور بول فى السيارة التى جلس لابوانت امام مقعد القيادة فيها فى زهو وفخر .

وكان يوما جميلا من ايام الصيف . وكان الطريق مزدحما بالسيارات المشحونة بالعائلات والاقفاص فى طريقها لقضاء اليوم فى الريف .

وفى لاينى ، انطلقوا الى الاستعلام عن الطريق ، ثم خرجوا من المدينة ودارو فى منعطفات كثيرة قبل ان يبلغوا الشاطىء ، حيث

تقف رافعة تجمهر حولها نحو مائة شخص ، وكان الشرطة يلاقون كل صعوبة فى منعهم من الاقتراب . وكان هناك ضابط عند الشاطىء ما ان راى القوميسير حتى ندت عنه تنهيدة ارتياح .

وكانت السيارة البنية موجودة فوق الشاطىء تغطيها الاوحال والاعشاب والقاذورات والماء لا يزال يقطر من كل فتحة فيها . وكان هيكلها مشوها ، واحد الواحها الزجاجية مهشما ، ومصباحاها الاماميان محطمين ، ولكن كان احد ابوابها لا يزال سليما ، وهو الذى اخرجوا منه الجثة .

وكانت هذه الاخيرة مكومة وفوقها غطاء . وكان الفضوليون يقتربون منها ثم يسرعون بالابتعاد وهم يشعرون بالغثيان .

— هل اتركك لكى تقوم بعملك يا دكتور ؟

— هنا ؟

وقد كان الدكتور بول قمينا بان يقوم بمهمته طواعية فى نفس المكان ، وقد سبق له ان قام بتشريح كثير من الجثث فى اماكن غريبة ، وسيجارته بين شفتيه ، بل انه كان ينقطع عن عمله ويخلع قفازيه ويتناول ما يودى باوده ثم يعود الى مزاولة عمله من جديد .

— هل تستطيع نقل الجثة الى مركز الشرطة ايها الضابط ؟

— سوف يتكفل رجالى بذلك .. انصرفوا يا قوم ، وليذهب كل منكم الى سبيله ... وانتم يا اولاد .. ولكن كيف تتركون الاولاد هكذا ؟ ..

وكان بوارو يفحص السيارة عندما شدته امراة من كمه ، وقالت له فى فخر :

— انا التى وجدتها .

— هل انت مدام هيبار ؟

— بل هوبار يا سيدى ، وبيتى هو الذى تراه هناك ، خلف شجرة الدردار .

— قولى لى ماذا رايت ؟

— لم ار شيئا اذا اردت الحق . ولكننى سمعت . سمعت صوت سيارة آتية من الطريق العام . وقلت لنفسى انهم بعض الصيادين

الذين يصطادون من غير رخصة ، لان البرد كان قارسا جدا لخروج الاجهزة والصناديق ، ثم ان الدنيا كانت تمطر فوق ذلك . كل ما رايته وانا استدير هو نور المصباحين .

« ولم الان اتوقع انه سيكون لهذا الامر اهمية ما فى يوم من الايام ، فاستمررت فى طريقى ، وخيل لى ان السيارة قد توقفت .

– ذلك لانك لم تسمعى المحرك ؟

– هو ذلك .

– هل كنت تولين ظهرك للطريق ؟

– نعم . لم اسمعت صوت المحرك من جديد . وظننت ان السيارة تدور نصف دورة ولكننى لم البث ان سمعت صوت سقوطها فى النهر .

– الم تسمعى صياحا ؟

– كلا .

– الم تعودى ادراجك ؟

– هل كان ينبغى ان افعل ؟ وماذا كنت استطيع وحدى ؟ خطر لى ان راكبيها المساكين قد غرقوا فاسرعت الى بيتى وشربت كاسا لكى اتمالك نفسى .

– الم تبقى عند شاطىء النهر ؟

– كلا يا سيدى .

– الم تسمعى شيئا آخر بعد سقوط السيارة ؟

– خيل لى اننى سمعت شيئا كوقع اقدام ، ولكننى ظننت انه صوت ارنب افزعه الصوت .

– هل هذا كل شىء ؟

– الا تجد فى هذا الكفاية ؟ .. لو انهم استمعوا الى بدلا من معاملتى كما لو كنت مجنونة لاخرجوا السيدة من النهر منذ وقت طويل . هل رايتها ؟

هل كانت مدام هوبار العجوز تعلم ان الصدفة وحدها هى التى دفعتها الى هذا المكان . وانها لو استدارت بدافع الفضول لكى

ترى ما وقع للحقت بالسيدة الاخرى فى قاع البحر ؟
ـ الن يأتى الصحفيون قريبا ؟
كانت تنتظر قدوم الصحفيين لكى ترى صورتها فى الجرائد .
وخرج لابوانت من السيارة الكريزلر بعد ان انتهى من فحصها ، تعلوه الاوحال وقال :
ـ لم اجد شيئا . ان العجلة الاحتياطية موجودة مكانها ، فى الصندوق الخلفى من السيارة . وليست هناك اية حقائب ، ولا حتى حقيبة يد . لا شىء غير فردة حذاء حريمى محشورة فى آخر المقعد، وهذا القفاز ، وهذا المصباح الكهربائى وجدتهما فى الدرج ، بجوار لوحة القيادة .
وكان القفاز قفاز رجل ، وكان من الجلد .
ـ اسرع الى المحطة . لا ريب ان أحدهم استقل القطار فى ذلك الوقت . الا اذا كان قد ركب سيارة اخرى من المدينة ثم الحق بى بعد ذلك فى ادارة الشرطة .
ورأى ان ينتظر فى الفنـاء ، وهو يدخن غليونه ، حتى يفرغ الدكتور بول من عمله فى الجاراج .

(٨)

سائقو الدمى الدقيقة

ـ هل تشعر بخيبة امل يا مسيو ميجريه ؟

كان لابوانت يود لو ان يقول « ايها الرئيس » كما يفعل لوكاس وبوريس واغلب مفتشى القسم الجنائى ، ولكنه احس بانه لا يزال جديدا لكى يقدم على ذلك . خيل له ان هذه ميزة لابد له من الحصول عليها كما يحصل غيره على شرائطه .

وكان قد ذهب بالدكتور بول الى بيته ، وانطلق الآن فى طريق العودة الى ادارة الامن العام ، حيث بدت له شوارع باريس اكثر نورا وصخبا بعد الساعات التى قضوها وهم يتخبطون فى ظلمات لابنى . واستطاع ميجريه ان يرى نور مكتبه وهو فوق جسر سان ميشيل .

ورد على سؤال الشاب بقوله : كلا . لم أكن اتوقع ان يتذكر موظفو المحطة المسافرين الذين سافروا منذ شهر .

ـ كنت اتساءل فيم تفكر ؟

اجاب بلهجة طبيعية : فى الحقيبة .

ـ اقسم لك انها كانت موجودة فى الورشة عندما ذهبت الى المجلد اول مرة .

ـ اننى لا اشك فى هذا .

ـ وانى واثق انها ليست نفس الحقيبة التى وجدها لوكاس بعد ظهر ذلك اليوم فى القبو .

ـ اننى لا اشك فى هذا ايضا . دع السيارة فى الفناء واصعد معى .

كانت هناك حركة بين الشرطة الموجودين للحراسة تدل على ان

هناك جديدا . وعندما عرف لوكاس ان ميجريه عاد اسرع الى مكتبه على الفور وقال له :

ـ انباء عن موس ايها الرئيس . جاءت فتاة وابوها منذ قليل ، وارادا ان يتحدثا اليك انت شخصيا ، ولكن بعد ان انتظرا ساعتين استقر رايهما على الافضاء الينا بما يعلمان . والفتاة جميلة وفى السادسة عشرة او السابعة عشرة من عمرها ، مستديرة الوجه ، وصريحة . والاب سبق ان حصل على جائزة روما فى الفن . وهناك اختها وهى اكبر منها سنا ، وامهما . وهم يقيمون فى شارع باستير ويعملون فى صناعة الدمى الدقيقة ولعب الاطفال ، ولا اخطىء اذا قلت ان الابنة رافقت اباها لكى تمنعه من الشراب فى الطريق . وقد اقام موس فى بيتهم فى الشهور الاخيرة منتحلا اسم بيترز .

ـ اما زال هناك ؟

ـ لو انه كان لا يزال هناك لارسلت اليه بعض المفتشين للقبض عليه ، او لذهبت انا نفسى . انه غادرهم فى ١٢ مارس .

ـ او بمعنى آخر ، فى اليوم الذى اختفى فيم ليفين وجلوريا والطفل بعد حادث ميدان دانفر .

ـ لم يقل لهم انه سيغادرهم ، وانما خرج فى الصباح كعادته ولم يعد بعد ذلك . وقد خطر لى انك قد تحب استجوابهما انت نفسك . آه . هناك شىء آخر . لقد اتصل فيليب ليوتار تليفونيا مرتين .

ـ وماذا يريد ؟

ـ يقول انه يريد ان يتحدث اليك ، وطلب ان تتصل به فى مقهى « شوب دى نيجر » اذا عدت قبل الساعة الحادية عشرة .

وكان مقهى شوب دى نيجر خمارة تقع فى شارع بون نوفيل ، وكانت الصرافة هى التى ردت عليه . ومضت لكى تبحث عن ليوتار . وقال له هذا الاخير :

ـ أهذا انت ايها القوميسير ؟ .. أظن انك مرهق بالعمل . هل عثرت عليه ؟ ..

ـ على من ؟

ـ موس . انني ذهبت الى السينما الليلة . وفهمت . الا تظن ان حديثا ، شبه رسمي ، بيني وبينك يفيد كلا منا ؟

ولعبت الصدفة دورها ، فقد كان ميجريه يفكر وهو في السيارة في الحقيبة . ودخل لابوانت المكتب وهو يتحدث الى ليوتار . وقال القوميسير يخاطب هذا الاخير : هل معك أصدقاء ؟

ـ ليس لهذا أهمية .. سوف أتخلص منهم عندما تاتي .

ـ اهي صديقتك ؟

ـ نعم .

ـ الا يجلس معكما أحد آخر ؟

ـ معنا رجل لا تحبه انت كثيرا . ولا ادرى لماذا ؟ .. وهو حزين لهذا السبب .

كان يتكلم عن الفونسي ، ولا ريب انهم اربعة .. الرجلان وصديقتاهما .

ـ هل لك أن تتجمل بالصبر وتنتظرني اذا حدث وتأخرت .

ـ سوف انتظرك الى اى وقت تشاء ، فنحن في يوم الاحد .

ـ قل لالفونسي انني أحب أن اراه هو الآخر .

ـ سوف يسره ذلك .

ـ الى الملتقى اذن .

ومضى فاغلق باب مكتبه عليه هو ولابوانت وقال له : اسمع . انك تريد أن تشق طريقك ، اليس كذلك ؟

ـ انني لا اتمنى غير ذلك .

ـ انك كنت من الحماقة بحيث تكلمت اول يوم ، وجر كلامك عواقب لا يمكن أن تشك فيها بعد .

ـ انني أسألك المعذرة .. كنت أضع كل ثقتي في اختي .

ـ هل تريد ان تقوم بعمل عسير ؟ .. مهلا . لا تتعجل بالرد ، فالامر ليس بالعمل السليم ولن تشيد الجرائد باسمك ، بل على

العكس .. اذا افلحت فى هذه المهمة فلن يعرف بما فعلت اى شخص آخر غيرى ، اما اذا فشلت فسأضطر الى ان اتنصل منك وسأزعم انك شاب متحمس وانك اقدمت على ذلك دون علم منى .

ـ اننى أفهم .

ـ انك لم تفهم شيئا أبدا ... ولكن لا اهمية لهذا . لو اننى قمت بهذه المهمة بنفسى وفشلت فسوف ألحق الضرر بادارة البوليس كلها . اما انت فجديد فى هذه المهنة ولن يكون لعملك اى تأثير .

راح لابوانت يتململ وقد عيل صبره ، واستطرد ميجريه يقول :

ـ ان مسيو ليوتار والفونسى مجتمعان الآن فى مقهى « شوب دى نيجر » حيث ينتظرانى .

ـ هل ستنضم اليهما ؟

ـ ليس على الفور . سأمضى أولا الى شارع باستير ، ولكننى واثق انهما لن يتحركان من المقهى قبل أن أمضى اليهما . فلنقل اننى سألحق بهما بعد ساعة تقريبا . ان الساعة الآن التاسعة . هل تعرف بيت المحامى بشارع بيرجير ؟ انه يسكن فى الدور الثالث على اليسار . وبما ان هناك عددا من الفتيات يقمن فى هذا البيت فان البوابة لا تهتم بمن يدخل أو يخرج .

ـ هل تريد أن ؟ ..

ـ نعم . انهم علموك كيف تفتح بابا ، ولن يكون لذلك نتيجة ما اذا أنت تركت آثارك خلفك . ولكن لا فائدة من تفتيش الأدراج أو الاوراق . يجب ان تتأكد من شىء واحد ، وهو ان الحقيبة ليست هناك .

ـ لم تخطر لى على بال .

ـ حسنا . من الجائز ، بل من المحتمل انها ليست هناك لان ليوتار رجل حريص . ولهذا لا يجب أن تضيع الوقت . ومن شارع بيرجير انتقل الى شارع دوويه ، حيث يقيم الفونسى فى الغرفة رقم ٣٣ بفندق ماسيف سنترال .. ابحث هناك عن نفس الشىء .. عن الحقيبة ولا شىء آخر .. واتصل بى تليفونيا عندما تفرغ .

ـ هل استطيع ان انصرف الآن ؟

ـ اخرج الى الممر اولا . سأغلق بابى بالمفتاح ، فحاول ان تفتحه . اطلب الادوات الخاصة بذلك من لوكاس .

وكان لابوانت عند حسن ظن القوميسير ، وبعد بضع دقائق كان يسرع الى الخارج وهو يكاد يطير فرحا .

ومضى ميجريه الى مكتب المفتشين وخاطب جانفييه قائلا : هل لديك ما يشغلك ؟

وكانت التليفونات لا تزال تصلصل ، ولكنها كانت اقل حدة بسبب الوقت . واجابه جانفييه .

ـ كلا . وانما احاول مساعدة لوكاس .

وهبطا معا . وجلس جانفييه امام عجلة القيادة . وبعد ربع ساعة بلغا شارع باستير . وقال ميجريه : اصعد معى .

وسأل عن النحات ، واسمه جروسو ، وقيل له انه يقيم فى الطابق السادس . وكان البيت قديما ولكنه يبدو محترما ، ولا ريب ان كل ساكنيه كانوا من صغار الموظفين . وعندما طرقا باب الطابق السادس انقطع على الفور صوت شجار بالداخل ؛ وفتحت الباب فتاة مكتئبة الوجه .

ـ هل انت التى اقبلت الى مكتبى منذ قليل ؟

ـ بل هى اختى . هل انت المفتش ميجريه ؟ تفضل .. لا تلتفت الى هذه الفوضى ، فقد فرغنا الآن من تناول العشاء .

وتقدمتهما الى ستوديو رحب له سقف منحدر ركبت بجانب منه بعض الالواح الزجاجية تظهر من خلالها النجوم . وكانت هناك بقايا من اللحم وزجاجة نبيذ لا يزال بها اكثر من نصفها ، فوق مائدة كبيرة من الخشب الابيض ، وفتاة اخرى بدت كما لو كانت توا ما لتلك التى فتحت ، راحت تنسق شعرها بيدها فى حين تقدم وجش لرندى سترة من القطيفة من الزائرين ، فى وقار مبالغ منه وقال :

ـ اهلا بك فى بيتى المتواضع يا مسيو ميجريه . ارجو ان

تشرفنى وتتناول الشراب معى .

ولم يكن هناك ريب فى ان النحات ، بعد ان غادر ادارة الامن العام ، تناول شيئا آخر غير النبيذ لانه كان يتكلم فى صعوبة ويترنح فى وقفته .

وقالت احدى الاختين :

ـ ارجو ألا تهتم به ... انه أفرط فى الشراب مرة أخرى .

نطقت بقولها هذا دون غيظ ، وكانت تنظر الى أبيها كما تنظر الام الرؤوم الى ابنها .

وكانت هناك ، فى اركان الغرفة الكبيرة المظلمة بعض القطع المنحوتة . وكان واضحا انها فى مكانها هذا منذ مدة طويلة .

اما الاشياء الحديثة ، تلك التى تسهم فى الحياة الحالية ، فقد كانت عبارة عن لعب من الخشب المنحوت تزحم الغرفة وتملأ المكان برائحة الخشب الطازج . وقال جروسو :

ـ عندما لا يستطيع الرجل ان يعيش هو وزوجته من الفن فلا عار فى أن يلجأ الى التجارة لكسب قوت يومه .

وأقبلت مدام جروسو ، ولا ريب انها تجملت بوجه خاص عندما سمعت رنين الجرس . وكانت امرأة نحيفة ، حزينة القسمات ، ذات عينين مترصدتين ، كما لو كانت تتوقع المصائب دائما .

ـ الا تقدمين مقعدا للقوميسير وآخر لهذا السيد يا هيلين ؟

ـ ان القوميسير يعرف تماما انه هنا فى بيته يا أماه . أليس كذلك يا مسيو ميجريه ؟

ـ ألم تقدمى شيئا ؟

ـ هل تريد كأسا من النبيذ ؟ .. اننا لا نحتفظ بشىء آخر بسبب ابى .

كان يبدو أنها هى التى تدير شئون البيت ، وكانت هى التى ادارت دفة الحديث على كل حال فقالت :

ـ اننا ذهبنا امس الى السينما ، وعرفنا الرجل الذى تبحثون عنه . لم يكن يدعى موس وانما بيترز . واذا كنا لم نأت قبل البدء

وذلك لان ابى كان مترددا فى الغدر به ، معترضا بانه كان ضيفا فى البيت ، وانه شاركنا تناول الطعام مرارا .

ـ هل كان موجودا هنا منذ وقت طويل ؟

ـ منذ نحو عام . ان الشقة تحتل الطابق كله ، واهلى يقيمون فيها منـذ اكثر من ثلاثين سنة ، وولدت فيها انا واختى . وفيما عدا الاستوديو فهناك ثلاث غرف . وفى العام الماضى لم تدر علينا اللعب ربحا كافيا بسبب الازمة الضاربة ، بحيث راينا ان نؤجر احدى الغرف . ونشرنا اعلانا فى الجريدة ، وهكذا عرفنا مستر بيترز .

ـ وما هى المهنة التى زعم انه يمارسها ؟

ـ قال لنا انه وكيل شركة انجليزية كبيرة ، وان له عملاءه بحيث انه لم يكن يكثر من التنقل . وكان يحدث احيانا ان يبقى طوال اليوم فى البيت . وكان ينضم الينا عندئذ ويساعدنا ، لاننا نشتغل جميعا فى صناعة اللعب التى يقوم ابى بتصميمها ، وقد جاءتنا طلبية كبيرة فى عيد الميلاد الماضى ، وعملنا جميعا ليلا ونهارا .

وكان جروسو يحدق فى زجاجة النبيذ بطريقة يرثى لها بحيث قال ميجريه يخاطبه :

ـ اعطنى كأسا صغيرا لكى نشرب معا .

ورماه الرجل العجوز بنظرة تفيض امتنانا وشكرا ، فى حين ظلت الفتاة تراقب اباها لكى تتأكد انه لن يصب لنفسه قدرا كبيرا من الشراب .

ـ كان يخرج بعد الاصيل على الخصوص ويعود فى وقت متاخر . وكان يأخذ حقيبة عيناته معه فى بعض الاحيان .

ـ هل ترك امتعته هنا ؟

ـ انه ترك حقيبته الكبيرة .

ـ والحقيبة الصغيرة ؟ ..

ـ كلا . لم تكن معه .

وتحولت الى اختها وسالتها قائلة : وبهذه المناسبة ، هل كانت

الحقيبة الصغيرة معه عندما انصرف يا اولجا .

ـ كلا . انه لم يأت بها عندما عاد آخر مرة .

ـ كان هادئا ودوعا ، ولعله كان حزينا بعض الشيء . وكان يبقى وحده فى غرفته أحيانا ، فكنا نمضى لكى نسأله ان كان مريضا . وكان يشاركنا غداءنا أحيانا ويساعدنا طوال النهار .

« وكان يحدث أن يختفى اياما كثيرة ، ولكنه كان يخطرنا قبل ذلك ويطلب منا الا نقلق .

ـ وكيف كنتم تدعونه ؟

ـ كنا ندعوه بمسيو جان . اما هو فكان يدعونا بأسمائنا ما عدا ماما طبعا . وكان يأتينا احيانا ببعض الحلوى وبالهدايا الصغيرة .

ـ ألم يأتكم ابدا بهدايا قيمة ؟

ـ ما كنا لنقبلها لو انه فعل .

ـ ألم يكن احد يأتى لزيارته ؟

ـ لم يأته احد ابدا . ولم يتلق اية رسائل . وعندما ابدينا له دهشتنا لذلك أجاب بأن له شريكا فى مكتب بالمدينة وان رسائله تأتى اليه هناك .

ـ الا تعرفين متى خرج بالحقيبة آخر مرة ؟

وكانت أولجا ، الاخت الكبيرة هى التى اجابت فقالت : يوم السبت الاخير ، قبل ...

ثم سكتت وهى تتساءل هل تستمر .

ـ قبل ماذا ؟

ـ واستعادت الاخت الصغرى دفة الحديث فقالت : لا تخجلى يا اولجا .. اننا نداعب اختى دائما ، كانت تميل الى مسيو جان .. كان اكبر منها سنا ولم يكن وسيما ولكن ...

ـ وانت ؟

ـ لا اهمية لذلك . رحل يوم سبت فى نحو الساعة السادسة ومعه حقيبته . وقد اثار ذلك دهشتنا لانه كان معتادا على الخروج

بها يوم الاثنين .

ـ يوم الاثنين ، بعد الظهر ؟

ـ نعم . ولم نكن نتوقع ان يعود ، وقد خطر لنا انه سيقضى عطلة نهاية الاسبوع فى مكان ما ، ورحنا نسخر من اولجا لانها تضايقت .

ـ ليس هذا صحيحا .

ـ ولا ندرى متى عاد ، فقد كنا نسمعه عادة عندما يفتح الباب . وفى صباح الاحد كنا نظن ان الغرفة خالية ، واخذنا نتحدث عنه هو بالذات واذا به يفتح الباب ويخرج من غرفته . وكان يبدو مريضا . وطلب من ابى ان يأتيه بزجاجة من الخمر ، وزعم انه اصيب بالبرد ولزم الفراش جزءا من النهار . ولاحظت اولجا وهى ترتب غرفته ان الحقيبة غير موجودة كما لاحظت شيئا آخر ... انها تزعم هذا على كل حال .

ـ بل اننى واثقة .

ـ هذا جائز ، فقد كنت تهتمين به اكثر منا .

ـ اننى واثقة ان البذلة لم تكن بذلته . كانت زرقاء هى الاخرى ولكنها لم تكن بذلته . وعندما لبسها لاحظت انها اوسع قليلا عند الكتفين .

ـ الم يتكلم عنها ابدا ؟

ـ كلا .ولم نشر نحن اليها . وعندئذ قال انه اصيب ببرد ولزم غرفته اسبوعا كاملا ولم يغادرها .

ـ هل كان يقرأ الجرائد ؟

ـ جريدة الصباح وجريدة المساء مثلنا .

ـ الم تلحظوا شيئا غير عادى ؟

ـ كلا . فيما عدا انه كان يسرع الى غرفته ويغلق بابها عليه بمجرد أن يسمع طرقا على الباب .

ـ ومتى بدأ يخرج ؟

ـ بعد ذلك بأسبوع تقريبا . وآخر ليلة قضاها هنا كانت ليلة ١٢/١١ مارس . ومن السهل معرفة ذلك التقويم الموجود فى غرفته لاننا لم ننتزع منه اية ورقة منذ ذلك اليوم .

قالت الام فى شىء من القلق : ما يجب ان نفعل ايها القومسير ؟..
هل تعتقد انه ارتكب جريمة حقا ؟
ـ لا ادرى يا سيدتى .
ـ اذا كان البوليس يبحث عنه ...
ـ هل تسمحين بأن ارى غرفته ؟
كانت الغرفة فى آخر الطرقة ، وكانت واسعة دون اسراف ، ونظيفة ، بها قطع من الموبيليا البراقة ، وقد علقت لصق الجدران لوحات مقلدة منقولة عن ميشيل انجلو ، وفى احدى اركانها حقيبة ضخمة سوداء مربوطة بحبل .
ـ هل لك ان تفتحها ياجانفييه .

ولم يكن يرى ضرورة لذلك ، وقد لقى جانفييه مشقة مع الحبل اكثر من القفل نفسه لان القفل كان عاديا . وانبعثت منها رائحة نفتالين نفاذة . واخرج جانفييه منها ثيابا كثيرة ، واحذية ، واخذ يرتبها فوق الفراش . كانت عبارة عن ثياب مختلفة بدت كما لو كانت ثياب ممثل ... وبينها بذلة سموكنج تحمل اسم احد كبار الترزيين بلندن ، وبذلة اخرى من ميلان ، كما كانت هناك بذلا من التيل الابيض كتلك التى يرتديها اهالى البلاد الحارة ، وبذل صارخة الالوان واخرى محتشمة ، وكذلك احذية كثيرة مصنوعة فى باريس ونيس وبروكسل وروتردام وبرلين .

وأخيرا ، وتحت هذا كله بذلة من تلك التى يرتديها المهرجون ، نظرت الفتاة اليها فى دهشة وقالت :
ـ هل هو ممثل ؟
ـ على طريقته .

ولم يكن هناك شىء آخر فى الغرفة . اما البذلة الزرقاء التى تكلمت الفتاة عنها فلم تكن موجودة ، لان بيتر موس لبسها عندما خرج آخر مرة ، ولعله لا يزال يلبسها حتى اليوم .
ولم يجد بالادراج غير اشياء تافهة : علب سجائر ومحافظ وازرار

قمصان وياقات وبعض المفاتيح وغليون مكسور .. ولكن لم يكن هناك اى ورقة ولا اى دفتر للعناوين .

ـ اشكرك يا آنسة . انك احسنت التصرف اذا اتصلت بنا ، وانا واثق انه لن تصـــــادفكم اية مشاكل . اظن انه ليس لديكم تليفون ...

واستطردت تقول فى صوت خافت : لم يكن ابى هكذا دائمـــا ، ولا نستطيع ان نحقد عليه لهذا السبب . لم يكن يتناول الشراب ابدا ، ولكنه التقى ببعض الزملاء الفنانين ، واعتاد ان يمضى للقائهم فى مقهى صغير بحى سان جرمان ، وكان ذلك وبالا عليه .

وكانت هناك منضدة صغيرة عليها ادوات دقيقة لحفر الخشب ونشره ومسحه لصناعة مختلف اللعب الدقيقة .

ـ خذ قليلا من النشارة فى ورقة ياجانفييه .

سوف يكون ذلك مدعاة لسرور مويرز ، وانه ليطربه ان يعرف انه كان قمينا بأن يهتدى الى هذه الشقة بشارع باستير بفضـل تحليلات مويرز .. وكان هـذا سيقتضى منه اسابيع طويلة ، وربمـا شهورا قبل ان يصل اليها .

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة ، وفرغت زجاجة النبيذ . وعرض جروسو ان يشيع القوميسير وزميله حتى الباب العمـومى للبيت ولكن ميجريه لم يسمح له بذلك وقال :

ـ ربما اعود .

ـ وهو ؟

ـ لا اظن ذلك . ومهما يكن فليس هناك ما تخشون من ناحيته .

وقال جانفييه وهو يجلس امام عجلة القيادة : اين امضى بك ايها الرئيس ؟

ـ الى شارع بون توفيل ، على كثب من مقهى دى نيجر ، وانتظرنى حتى اعود .

وكان مقهى شوب دى نيجر عبارة عن خمارة كبيرة تقدم الخمر والطعام على انغام الموسيقى . ورأى ميجريه ليوتار وصديقه الغونسى

وصديقتيهما أمام احدى الموائد وكان الفونسى اول من نهض ، وكان يبدو مضطربا ومرتبكا كما لو كان يتوقع أن يركله احد فى حين ابتسم المحامى وهو واثق ومعتد بنفسه ، وبسط يده قائلا :

ـ هل أقدم لك صديقتينا ؟

وقدمهما اليه فى تواضع ثم قال : هل تفضل ان تجلس معى لحظة الى هذه المائدة ام تريد ان نجلس على حدة ؟

ـ على شرف ان يبقى الفونسى مع السيدتين وان ينتظر ... اننى افضل ان اصغى اليك على الفور .

كانت هناك مائدة شاغرة بجوار الخزينة ، وكان رواد المقهى عبارة عن بعض تجار الحى ، اقبلوا لتناول العشاء مع زوجهم . وكان هناك بعض الزبائن ، بعضهم يلعب الورق والبعض الآخر يمارس لعبة الشطرنج .

ـ ماذا تشرب ؟ .. كأس من النبيذ وآخر من الكونياك يا جرسون.

وتحول ليوتار الى ميجريه وسأله : هل اثمر نداؤك ؟

ـ هل استدعيتنى لكى تستجوبنى يا أستاذ ليوتار ؟

ـ بل ربما لكى نتصالح ، فما رايك ؟ ربما كنت فظا معك ، ولكن ان كلا منا يقف فى جانب من الحاجز فان عملك يقتضيك ان تتهم عميلى اما عملى انا فهو انقاذه .

ـ حتى اذا جعلت من نفسك شريكا له ؟

واصابت الضربة الهدف ، فقد رفع المحامى جفنيه ثم اطرقهما مرتين او ثلاثا ثم قال :

ـ اننى لا ادرى ماذا تعنى . ولكن ما دمت تفضل هذا فسامضى الى الغاية قدما . لقد أراد القدر ان يمكنك من الاضرار بى ايها القوميسير وان تعوق مستقبلا يتوقع له الجميع ازدهارا باهرا .

ـ لست اشك فى هذا .

ـ شكرا لك . ان نقابة المحامين صارمة فى لوائحها وانظمتها ، واعترف اننى فى لهفتى للوصول الى ما اريد لم اتبعها .

شرب ميجريه النبيذ فى براءة تامة وهو ينظر الى الصرافة ثم قال :

ـ انى انتظر يا مسيو ليوتار .

ـ كنت ارجو ان تساعدنى لانك تعرف تماما عن اى شىء اتكلم .

واستطرد المحامى يتكلم وهو يرى ميجريه لا ينطق : انك تعرف ايها القوميسير اننى انتمى الى اسرة فقيرة ... فقيرة جدا ...

ـ اسرة الكونت ليوتار !

ـ انى قلت اسرة فقيرة جدا ولم اقل نبيلة . وقد لقيت اكبر العناء لكى ادفع نفقات دراستى واضطررت ، وانا طالب ، ان امارس شتى المهن ، بل اننى عملت فى احدى دور السينما الكبيرة ... كنت ارشد النظارة الى مقاعدهم . ومرت بى ايام عصيبة منذ شهر لم اكن أجد فيها ما يسد رمقى . وكنت أنتظر مثل زملائى الذين فى نفس سنى ، وبعض منهم أكبر منى سنا ، القضية التى قد تتيح لى ان افرض نفسى .

ـ وهل وجدت هذه القضية ؟

ـ وجدتها . وهذا ما أقصد به الوصول اليه بحديثى هذا . ولكن فى يوم الجمعة ، وفى مكتب مسيو دوسان ، نطقت انت ببضع كلمات جعلتنى اعتقد انك تعرف الكثير عن هذه القضية ، وانك لن تتردد فى استخدام ما تعرفه ضدى .

ـ ضدك ؟

ـ ضد موكلى اذا اردت .

ـ انى لا افهم .

وطلب ميجريه ، من تلقاء نفسه ، كاسا آخر من النبيذ لانه وجده من نوع جيد . وقال ليوتار :

ـ ارى انك تريد ان اتكلم وحدى وان تظل ممسكا بالخيط الناجح . اننى ارتكبت غلطة مهنية حين توليت الدفاع عن فرانز ستوفيل .

– غلطة واحدة ؟

– انني عرفت بامر هذه القضية بطريقة مبتذلة جدا ، وارجو الا يواجه احد اية مشاكل بسببي ، فان صداقة قوية تربطني بشاب يدعى انطوان بيزار يقيم في نفس البيت الذي اقيم فيه ، واجهت معه اياما عصيبة واتفق ان اشتركنا في تناول علبة سردين او خيارة واحدة . ومنذ وقت قصير وبيزار يعمل بصفة مستمرة في احدى الجرائد ، وله صديقة ...

– اخت مفتش يعمل معي .

– هانت تعترف بانك تعرف ...

– يروق لي ان اسمعك تقول هذا .

– وبيزار ، بحكم عمله في الجريدة ، لانه يتولى تحرير صفحة الحوادث ، يعرف بعض الوقائع قبل الجمهور .

– تعني بعض الجرائم ؟

– اذا اردت ... وقد اعتاد ان يتحدث معي في التليفون ...

– لكي تتمكن من الذهاب الى من يعنيهم الامر وعرض خدماتك .

– انك منتصر قاس يا مسيو ميجريه .

– استمر .

وكان دائم التحديق في الصرافة وحريصا في نفس الوقت على التأكد من ان الفونسي يجلس مع السيدتين .

– وقد قال لي ان البوليس يهتم باحد المجلدين في شارع تورين .

– وكان ذلك يوم ٢١ فبراير .. في اول الاصيل ..

– هذا صحيح . وقد ذهبت اليه وتكلمت معه حقا عن بعض الكتب قبل ان اتعرض للمسألة الشائكة .

– تعني مسألة المرمد ؟

– هذا كل شيء . وقلت لستوفيل انه اذا كان يواجه اية مشاكل فانه يسرني ان اتولى الدفاع عنه ، وانت تعرف كل هذا . ولم اطلب مقابلتك اليوم بسببي انا بوجه خاص ، وانما بسببه هو ايضا فان

ما يضر بى الآن سوف ينقلب عليه ويضره هو الآخر . هـذه هى الحقيقة يا مسيو ميجريه ، وعليك انت ان تتخذ قرارك . فى امكانك ان تشطب اسمى من سجل المحامين غدا صباحا ، وما عليك فى سبيل هذا الا ان تمضى الى نقيب المحامين وتخبره بكل ما تعرف .

ـ هل بقيت وقتا طويلا مع المجلد ؟

ـ ربع ساعة على الاكثر .

ـ وهل رايت زوجته ؟

ـ اظن انها اطلت براسـها ، فى وقت من الاوقات ، من اعلى السلم .

ـ هل اطلعك ستوفيل على اسراره ؟

ـ كلا . وانى مستعد لان اقسم بهذا .

ـ سؤال آخر يا استاذ .. منذ متى والفونسى يعمل فى خدمتك .

ـ انه لا يعمل فى خدمتى ، وانما يدير مكتبا خاصا للأبحاث .

ـ مكتب هو الموظف الوحيد به .

ـ هذا لا يعنينى . اننى احتاج لبعض المعلومات لكى اتمكن من الدفاع عن عميلى ، ولا استطيع ان اجمع هذه المعلومات بنفسى .

ـ وكنت بحاجة على وجه الخصوص الى ان تعرف ما اعرفه يوما بعد يوم .

ـ هذه اصول الحرب ، اليس كذلك ؟

وتناولت الصرافة سماعة التليفون الذى راح يصلصل ، وقالت بعد لحظة : دقيقة واحدة .. لا ادرى .. سوف ارى .

واذ همت ان تفتح فمها لكى تستدعى الجرسون نهض القوميسير وقال : اهذه المكالمة لى .

ـ من انت ؟

ـ اسمى ميجريه .

وكانت هى المكالمة التى ينتظرها من لابوانت . وكان صوت الشاب يتهدج لفرط انفعاله وهو يقول :

ـ اهذا انت يا سيدى القوميسير ... انها معى .

ـ واين وجدتها ؟

ـ لم اجدها فى مسكن المحامى ، وقد اوشكت البوابة ان تفاجئنى . وذهبت بعد ذلك الى شارع دوويه ، وكان الامر سهلا كما تقول ، فلم اجد صعوبة فى فتح الباب . وكانت الحقيبة تحت الفراش .. ماذا افعل الآن ؟

ـ اين أنت .

ـ فى محل لبيع السجائر بشارع دوويه .

ـ اركب سيارة اجرة وعد الى ادارة الامن العام . سألتقى بك هناك .

ـ حسنا ايها الرئيس . هل انت راض عنى .

وهكذا جرفه الحماس والزهو فسمح لنفسه بأن ينطق بالكلمة لاول مرة ، ولكنه كان يشعر بالاطمئنان مع ذلك . وقال ميجريه :

ـ انك احسنت .

وكان المحامى ينظر الى القوميسير فى قلق . وعاد هذا الاخير الى مكانه وهو يتنهد فى ارتياح واشار الى الجرسون :

ـ كأس آخر . ولعل من الاوفق أن تقدم كأسا لهذا السيد .

قال ليوتار : ولكن ...

ـ اهدأ يا صاحبى ولا تجزع ...

وكانت هذه الكلمات القلائل كافية لان تثير الرعب فى اوصال المحامى .

ـ اننى لن اذهب الى نقابة المحامين لكى اشكوك وانما الى المحامى العام . ومن الجائز ان استصدر غدا اذنين بالقاء القبض احدهما باسمك والآخر باسم الفونسى .

ـ هل تمزح ؟

ـ بماذا يحكم القاضى على من يخفى معلومات فى قضية قتل ؟ ..
يجب ان اراجع نصوص القانون .. سأفكر فى هذا واتركك الآن
لكى تدفع الحساب .

ونهض واقفا وأردف يقول فى هـدوء وهو ينحنى فوق كتفى
لبونار : ان الحقيبة معى .

(٩)

صورة ديب

كانت الساعة قد اشرفت على التاسعة حين اتصل ميجريه بمكتب القاضى للمرة الاولى وقال يحدث الكاتب :

ـ هل لك ان تسأل مسيو دوسان ان كان يستطيع استقبالى ؟

ـ ها هو بالذات .

وقال هذا الاخير يسأله : هل هناك جديد ؟ .. اعنى فيما عدا ما ذكرته جرائد الصباح .

كان شديد الانفعال لان الجرائد كانت قد نشرت نبأ العثور على السيارة البنية اللون وجثة المراة العجوز فى لاينى .

ـ اظن ذلك . سآتى لكى أتحدث معك بعد قليل .

ولكن ، كان القوميسير كلما مضى بعد ذلك نحو الباب يعوقه شىء ... صليل جرس التليفون او قدوم احد المفتشين لكى يقدم تقريره .

واتصل القاضى بلوكاس وسأله :

ـ أما زال القوميسير موجودا فى مكتبه ؟

ـ نعم . هل تريد ان أوصلك به ؟

ـ كلا . اظن انه مشغول . سوف يأتى بعد لحظة بالتأكيد .

ومرت الدقائق سراعا ، واستقرت نيته اخيرا على ان يطلب ميجريه وقال له :

ـ معذرة لازعاجى اياك ، فاننى اظن انك مشغول جدا ولكننى استدعيت ستوفيل لاستجوابه فى الساعة الحادية عشرة ولا اريد ان ابدا الاستجواب قبل ان اراك .

ـ هل يضايقك ان يتم هذا الاستجواب مواجهة ؟

ـ مع من ؟

ـ مع زوجته طبعا . اذا سمحت ، فسوف ابعث احد رجالى لكى يأتى بها .

ـ اتريد امر استدعاء قانونى ؟

ـ ليس هذا ضروريا .

وانتظر مسيو دوسان عشر دقائق اخرى وهو يتظاهر بانه يدرس القضية . واخيرا سمع طرقة على الباب . واوشك ان يسرع لكى يفتحه . ورأى ميجريه يدخل وفى يده حقيبة .

ـ هل انت مسافر ؟

ودلته ابتسامة القوميسير على حقيقة الامر فصاح وهو لا يستطيع ان يصدق عينيه .

ـ الحقيبة !

ـ اؤكد لك انها ثقيلة .

ـ كنا على حق اذن ؟

واحس بحمل ثقيل ينزاح عن صدره ، فان الحملة المستمرة التى قام بها فيليب ليوتار هزت اعصابه ، خاصة وانه هو الذى تحمل مسئولية ابقاء ستوفيل فى السجن .

ـ اهو مذنب ؟

ـ بما فيه الكفاية لكى يبقى فى السجن بضع سنوات .

كان ميجريه قد عرف محتويات الحقيبة منذ اليوم السابق ، ولكنه مع ذلك قام بجردها مرة اخرى بنفس السرور الذى يشعر به الطفل وهو يستعرض الهدايا التى تلقاها فى عيد الميلاد .

وكانت الحقيبة ثقيلة حقا ، ولا غرو فى ذلك فقد كانت مملوءة بالواح معدنية ، أشبه بتلك التى يستخدمها مجلد الكتب فى عمله ولكنها كانت فى الواقع اختاما لبلاد مختلفة . وكانت تحتوى كذلك على اختام من الكاوتشوك ، كتلك التى تستخدم فى المديريات والمحافظات . وكانت مرتبة بعناية كبيرة ونظام كما لو كانت عينات لمتجول .

وقال ميجريه : هذا عمل ستوفيل . كان اخوه الفريد يمده بالنماذج وجوازات السفر البيضاء . وجميع هذه الاختام ليست مزيفة وانما هى حصيلة سرقات وقعت فى القنصليات والسفارات .

ـ وهل كانا يقومان بهذا العمل منذ وقت طويل ؟

ـ لا اظن ذلك . منذ سنتين تقريبا ، استنادا الى حسابات البنوك . والواقع اننى اتصلت صباح اليوم بأكثر بنوك باريس ، وهذا هو السبب الذى اخرنى حتى الآن .

ـ ان لستوفيل حسابا خاصا فى بنك الشركة العامة بشارع سانت انطوان ، اليس كذلك ؟

ـ وله حساب آخر فى بنك امريكى بميدان فندوم وآخر فى بنك انجليزى بالبوليفار . وحتى الآن عثرنا على خمسة حسابات فى خمسة بنوك مختلفة ، وقد بدا ذلك من سنتين ، اى منذ ان اقام اخوه فى باريس .

وكانت الدنيا تمطر ، والجو مكفهرا ، وكان ميجريه جالسا بجوار النافذة يدخن غليونه .

ـ ان الفريد موس لا ينتمى الى طبقة المجرمين المحترفين ياسيدى القاضى ، فان لهؤلاء تخصصا يتمسكون به فى أغلب الاحيان ... ولم ار نشالا يحاول السطو على البيوت ولا لصا يزيف شيكا او يحاول الاحتيال على الطريقة الامريكية .

والفريد موس مهرج قبل كل شىء ... بهلوان .

وقد وقع من على وهو يمارس مهنته هذه ، وكانت وقعته سببا فى تغيير مجرى حياته . ولا اخطىء اذا قلت انه افلح فى خبطته الاولى عن طريق الصدفة . وساعده فى ذلك معرفته باللغات الاجنبية ، فقد التحق بأحد الفنادق الكبرى فى لندن ، وسنحت له الفرصة لكى يسرق بعض المجوهرات ... ولم يدعها تفلت من يده .

وساعدته تلك المجوهرات على العيش بعض الوقت ، ولكنه لم يكن بالوقت الطويل لانه مصاب بداء ، وقد عرفت ذلك فى صباح اليوم

بالذات من صاحب الخمارة التى تقع فى الحى الذى كان يقيم فيه ... فانه يهوى المراهنة على السباق ، ومثله فى ذلك مثل جميع الهواة ، فهو لم يكتف بممارسة طريقة واحدة فى السرقة ، وانما حاول ان يجرب كل شىء .

وقد اقدم على ذلك بمهارة كبيرة ، وحالفه الحظ فلم يتمكن رجال البوليس من ادانته حتى اليوم .

وعرف حياة اليسر والعسر . فكان يسرف يوما على الطريقة الامريكية ويزور بعد ذلك شيكا .

وتقدمت به السن واصبح امره معروفا فى اغلب العواصم وسجل اسمه فى القائمة السوداء للفنادق الكبرى حيث اعتاد ان يعمل .

ـ وتذكر اخاه عندئذ ؟

ـ نعم . وكان ذلك منذ سنتين ، وكان يمارس تهريب الذهب ، ولكن هذه المهمة لم تعد تدر عليه شيئا يذكر ، وبدات الجوازات المزورة ، وخصوصا الى امريكا تصل الى مبالغ خيالية ، وقال لنفسه ان المجلد سيعرف كيف يدبر امره بالاختام الرسمية لانها تدخل فى صميم عمله .

ـ ان الامر الذى يدهشنى هو ان ستوفيل قد قبل ذلك مع انه لم يكن محتاجا .. هذا الا اذا كان يحيا حياة مزدوجة لم نكتشفها بعد ..

ـ انه لا يحيا حياة مزدوجة ، ولكنه البؤس ... واعنى به البؤس الحقيقى الذى عرفه فى طفولته ثم فى حداثته ، وهو بؤس يخلق نوعين من الناس : اسخياء وبخلاء ، ولكنه يخلق فى اغلب الاحيان بخلاء ، وهؤلاء يشفقون من عودة الايام السوداء بحيث لا يحجمون عن اى شىء ضمانا للمستقبل .

ولا اخطىء اذا قلت ان هذا هو الحال مع ستوفيل ، وان قائمة البنوك التى فتح له حسابا فيها لاكبر دليل على ذلك . وانا مقتنع انه لم يحاول بذلك اخفاء ثروته لانه لم يخطر بباله ان امره قد

بمنضح ، وانما كان يشك فى البنوك وفى التأميم وهبوط الاسعار ، فحاول ان يدخر مبالغ صغيرة فى بنوك مختلفة .

ـ حسبت انه لم يكن يفارق زوجته تقريبا .

ـ هذا صحيح . كانت هى التى تفارقه . وقد قضيت وقتا لكى اكتشف ذلك ، فانها تمضى بعد ظهر كل يوم اثنين الى المغسل لغسل ثيابهما . وكان موس ياتى تقريبا مساء كل يوم اثنين ومعه حقيبته . واذا ما بكر فى الحضور انتظر رحيل زوجة اخيه فى مقهى صغير .

وكان امام الاخوين طوال فترة بعد الظهر لمباشرة عملهما . وكانت الاوراق والمستندات لا تبقى فى شارع تورين ابدا لان موس كان يحرص على أن يأخذها معه .

وفى بعض الاوقات كان ستوفيل يجد متسعا من الوقت لكى يسرع الى احد البنوك فيودع فيه نقوده .

ـ ولكننى لا أرى دور المراة الشـــابة صاحبة الطفـل ولا دور الكونتيسة بانيتى ولا ...

ـ سوف أنتقل الى كل ذلك يا سيدى القاضى ، واذا كنت قد حدثتك عن الحقيبة قبل كل شىء فذلك لانها هى التى شغلتنى قبل غيرها . ومنذ أن اكتشفت امر موس وارتبت فى نشاطه شغلتنى مسألة اخرى . لقد كانت العصابة تعيش فى هدوء حتى يوم الثلاثاء ولكن حدث شىء فجأة .. شىء غير عادى بدد هذا الهدوء ، وكان سببا فى تشتيت افرادها . فما الذى حدث ؟

اننى اتحدث عن ذلك الحـادث الذى وقع لزوجتى صـدفة فى ميدان دانفر .

كان موس يعيش حتى اليوم السابق فى اتم هدوء ، فى غرفته المفروشة بشارع باستير .

وكان ليفين والطفل يقيمان فى فندق بوسيجور ، حيث كانت جلوريا تمضى وتأخذ الطفل كل صباح وتخرج به للنزهة .

ولكن ، فى الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء المذكور مضى

موس الى فندق بوسيجور ، ولم يكن قد وضع قدميه فيه قبل ذلك من باب الاحتياط .

وحزم ليفين حقيبته على الفور واسرع الى ميدان دانفر واستدعى جلوريا ، وتركت هذه الاخيرة الطفل لكى تتبعه .

وبعد ظهـــر ذلك اليوم بالذات اختفى الجميع ولم يتركوا اثرا خلفهم .

فما الذى حدث صباح يوم الثلاثاء ؟

لم تأت لموس مكالمة تليفونية لان البيت الذى يقيم فيه ليس فيه تليفون .

ولم اقم ، لا أنا ولا رجالى بأى اجراء من شأنه اثارة الخوف بين اعضاء العصابة ، لاننا لم نشك فى امرهم ابدا .

وكان فرانز ستوفيل فى السجن .

ومع ذلك فقد حدث شيء .

ولكننى عرفت بطريق الصدفة البحتة الرد على هذا السؤال مساء امس فقط ، عندما عدت الى بيتى .

كان شعور مسيو دوسان بالارتياح كبيرا جدا لان الرجل الذى امر بايداعه السجن لم يكن بريئا ، وراح يصغى الى ميجريه وعلى شفتيه ابتسامة كما لو كان يصغى الى رواية شائقة .

– لقد قضت زوجتى الامسية وهى تنتظرنى ، وانتهزت الفرصة لكى تقوم بعمل صغير كانت تزاوله ما بين وقت وآخر . والواقع انها تحتفظ فى كراساتها بمقالات الجرائد التى تتحدث عنى ، وهى تحرص على ذلك كل الحرص منـــذ أن قام أحد مديرى البوليس الجنائى بنشر مذكراته . وكانت ترد على اذا سخرت منها فتقول :

– يحتمل أن تكتب مذكراتك ذات يوم ، بعد أن تعتزل وتعيش فى الريف .

وقد عدت مساء أمس الى البيت فرأيت زجاجة الصمغ والمقص على المنضدة ، ورحت انضو عنى ثيابى وانا القى نظرة الى مقالة

كانت تلصقها تتوسطها صورة لى كنت قد نسيت أمرها تماما ، وهى صورة خاطفة التقطها صحفى نوروماندى ناشىء فاجأنى أنا وزوجتى على عتبة فندق صغير فى دييب كنا قد أقمنا فيه بضعة أيام .

وأدهشنى ان ارى هذه الصورة من جديد فى مجلة مصورة ، وقالت لى زوجتى :

ـ الم تقراها ؟ انها ظهرت حديثا وبها مقال من اربع صفحات عن ايامك الاولى فى البوليس الجنائى وعن طريقتك فى العمل .

وكانت هناك صور اخرى من بينها واحدة عندما كنت لا ازال سكرتيرا فى احد مراكز البوليس ، وكنت أطلق شاربى عندئذ .

ـ متى ظهر ؟

ـ أتعنى المقال ؟ .. الاسبوع الماضى .. ولم أجد الوقت الكافى لكى اطلعك عليه لانك كنت لا تبقى فى البيت تقريبا .

صفوة القول ، نشر المقال فى مجلة اسبوعية تصدر فى باريس وعرضت للبيع فى صباح يوم ١٢ مارس .

وقد بادرت بارسال أحد رجالى الى الاسرة التى كان موس يقيم معها فى ذلك التاريخ ، وقالت أصغر الفتاتين انها صعدت بالمجلة واللبن فى نحو الساعة الثامنة والنصف وان موس راح يتصفحها وهو يتناول افطاره .

واتضح لى كل شىء عندئذ . بل ان ذلك يفسر جلوس جلوريا على المقعد بميدان دانفر .

فقد تفرقت العصابة واختفت بعد الجريمتين وعقب القبض على ستوفيل ، ولا ريب ان ليفين غير الفندق مرارا قبل أن يستقر فى شارع ليبيك ، ولم يكن يخرج مع جلوريا بدافع الحرص ، بل انهما تجنبا ان يرقدا معا فى نفس المكان .

وكان موس يذهب صباح كل يوم لاستقاء الانباء فى ميدان دانفر ، وكان يكتفى بالجلوس على حافة المقعد .

وانت تعرف ان زوجتى جلست ثلاث او اربع مرات على نفس المقعد فى انتظار ان يحين موعدها مع طبيب الاسنان ، وتعرفت

السيدتان وراحت كل منهما تثرثر مع الاخرى . ولا ريب ان موس راى مدام ميجريه ولم يعرها اى اهتمام .

ولك ان تتصور رد الفعل الذى احس به عندما راى من المحلة ان سيدة المقعد ما هى الا زوجة الكوميسير المكلف بالتحقيق .

ما كان ليستطيع ان يصدق ان الامر مجرد صدفة ، اليس كذلك ؟ .. وخطر له طبعا اننا وراءه وانني كلفت زوجتي بهذا الجزء الدقيق من التحقيق .

واسرع الى شارع ليبيك وابلغ ليفين . واسرع هذا الاخير بدوره وابلغ جلوريا .

ـ ولماذا تشاجرا ؟

ـ ربما بسبب الطفل . لعل ليفين لم يقبل ان تمضي جلوريا لاسترداده فتعرض نفسها للوقوع فى قبضتنا ، ولكنها اصرت على الذهاب ، واحتاطت بقدر الامكان .

وهذا يحملني على الظن بانهم ان يكونوا معا عندما نهتدى اليهم ، فهم يعلمون اننا نعرف جلوريا والطفل ولا نعرف شيئا عن ليفين . ولا ريب أن هذا الاخير قد مضى فى طريق وان موس مضى فى طريق آخر .

ـ هل تنوى القبض عليهما ؟

ـ ربما غدا وربما بعد سنة ، فانت تعرف كيف يدور هذا .

ـ ولكنك لم تقل لى حتى الآن اين وجدت الحقيبة ؟

ـ ربما تفضل الا تعرف كيف حصلنا عليها لانى اضطررت فى الواقع الى استخدام سبل غير قانونية اتحمل انا وحدى مسئوليتها ، ولا يمكنك انت ان تقرها .

ولكن يكفى ان تعلم ان ليوتار هو الذى اخذها من ستوفيل لانها تعرضه للشبهة .

ولسبب ما ذهب موس الى شارع تورين يوم السبت وتركها هناك . ودفعها ستوفيل بكل بساطة تحت المنضدة ، فى ورشته وهو يظن ان احدا لن يهتم بها .

وفى يوم ٢١ فبراير مضى لابوانت متذرعا باحدى الحجج وفتش المكان .

والمعروف ان فرانز ستوفيل لم يكن فى استطاعته الاتصال بأخيه ، ولا بأى شيء آخر من العصابة طبعا لكى يبلغه بما حدث . ولدى فكرة فى هذا الصدد .

ولا ريب انه راح يتساءل كيف يتخلص من الحقيبة ، وانه كان ينتظر هبوط الليل دون اى شك لكى يفعل ذلك ، ولكن ليوتار تقدم اليه ، ولم يكن قد سمع عنه من قبل .

ـ وكيف عرف ليوتار بالامر ؟

ـ عن طريق احد رجالى وبطريقة غير مباشرة ، ولست ألومه على ذلك ، ولا أظن ان مثل هذا الامر سيقع ثانية . مهما يكن فان ليوتار عرض خدماته ، بل اكثر قليلا مما نتوقع من محام ما دام قد اخذ الحقيبة معه .

ـ هل وجدتها فى بيته ؟

ـ بل فى مسكن الفونسى ، وكان قد أعطاها له .

ـ والى أى شيء وصلنا الآن ؟

ـ لم نصل الى شيء ما ... اعنى اننـــا لم نعرف شيئا عن الجريمتين . لقد قتل رجل فى شارع تورين ، وقبلها قتلت الكونتيسة بانيتى فى سيارتها ولكننا لا ندرى أين . ولا ريب ان تقرير الدكتور بول قد جاءك وفيه يقول انه عثر على رصـــاصة فى رأس المراة العجوز .

ومع ذلك فقد جاءتنى معلومة صغيرة من ايطاليا ، فقد وقع الطلاق بين كرينكر وزوجته منذ أكثر من سنة فى سويسرا لان الطلاق غير معروف فى ايطاليا ، وقد استعادت ابنة الكونتيسة بانيتى حريتها لكى تتزوج أمريكيا تقيم معه فى تكساس فى الوقت الحالى .

ـ الم تتصالح مع امها ؟

ـ ابدا . فقد كانت أمها شديدة الغضب منها ، وكرينكر رجل هنغارى من اسرة طيبة ، ولكنه فقير . وقد قضى فترة من موسم

الشتاء فى مونت كارلو ، يحاول ان يثرى عن طريق القمار ولكن عبثا .

وقد قدم الى باريس قبل موت حماته بثلاثة اسابيع ، واقام فى فندق الكومودور ثم انتقل منه الى فندق صغير بشارع كومارتن .

ـ ومتى التحقت جلوريا بخدمة المراة العجوز ؟

ـ منذ اربعة او خمسة شهور . ولكننا لم نتأكد من ذلك تماما .

وتناهت الى الاسماع حركة فى الخارج ثم اقبل الحاجب واعلن عن قدوم المتهم ، فقال مسيو دوسان وقد احس بمسئوليته من جديد :

ـ هل اقول له كل هذا ؟

ـ شىء من اثنين . اما ان يتكلم او ان يلتزم الصمت . وقد اهتممت ببعض الهنغاريين من قبل ، وادركت انهم صلبوا الراس ، شديدو العناد . وامامنا اسابيع طويلة ، بل اكثر .. والواقع انه يجب ان ننتظر حتى نهتدى الى احد الاشخاص الاربعة .

ـ الاربعة ؟

ـ موس وليفين والمراة والصبى . ولعل الصبى هو الذى يتيح لنا كل الفرص .

ـ هذا اذا كانوا لم يتخلصوا منه ؟

ـ اذا كانت جلوريا قد عادت لكى تسترده من زوجتى مجازفة بالقاء القبض عليها فذلك لانها تتشبث به .

ـ هل تظن انه ابنها ؟

ـ اعتقد هذا . ومن الخطأ ان تعتقد ان المجرمين ليسوا اناسا مثلنا ، يمكنهم ان ينجبوا اطفالا وان يحبوهم .

ـ اهو ابن ليفين ؟

ـ بدون شك .

ونهض دوسان ، وابتسم ابتسامة لا تخلو من خبث ولا من تواضع وقال :

ـ لابد لنا الآن من استجوابه استجوابا دقيقا ، وانا لست بارعا في هذه الناحية للاسف .

ـ ساحاول ان اتحدث الى ليوتار ، بعد اذنك طبعا .

ـ لكي ينصح عميله بأن يتكلم ؟

ـ من مصلحة كل منهما الآن أن يتكلم .

ـ هل ادعهما يدخلان الآن ؟

ـ لحظة واحدة .

وخرج ميجريه ، وقال للرجل الجالس على المقعد الى اليمين :

ـ صباح الخير يا ستوفيل .

وفي هذه اللحظة بالذات ظهر جانفييه في أول الممر وبرفقته فرناند ، وهي في شدة الانفعال . وتردد المفتش في أن يترك المرأة تنضم الى زوجها ، ولكن ميجريه قال :

ـ يمكنكما أن تتكلما معا ، فان القاضي ليس مستعدا بعد .

واشار الى ليوتار أن يتبعه ، وأخذا يتحدثان في صوت خافت وهما يسيران جيئة وذهابا ، في الممر حيث يقف بعض رجال الشرطة امام اغلب الابواب . واســـتمر ذلك خمس دقائق ، وقال ميجريه أخيرا :

ـ ما عليك الا ان تطرق الباب متى شئت .

وعاد وحده الى مكتب دوسان ، تاركا ليوتار وستوفيل وفرناند يتبادلون الحديث . وقال القاضي .

ـ حسنا ؟

ـ سنعرف ذلك بعد لحظات . ان ليوتار موافق طبعا ، وسأكتب تقريرا اتحدث فيه عن الحقيبة دون ان أورطه .

ـ هذا عمل غير سليم ، اليس كذلك ؟

ـ هل تريد القاء القبض على القتلة ؟

ـ انني افهمك يا ميجريه ، ولكن أبى وجدى ماتا وهما يباشران عملهما في سلك القضاء ، واريد أن انتهي انا ايضا مثلهما .

واصطبغ وجهه وانتظر فى فروغ صبر وهو يحنى فى نفس الوقت ان يسمع طرقا على الباب .

وانفتح الباب اخيرا ، وكانت فرناند قد بكت ، وكانت تمسك منديلها فى يدها . وبحثت بعينيها عن ميجريه على الفور ، والقت اليه نظرة بالسة كما لو كانت تعتقد ان باستطاعته اصلاح الامور .

اما ستوفيل فلم يتغير . كان لا يزال محتفظا بهدوئه واصراره فى نفس الوقت ، ومضى فجلس فى سكون على المقعد الذى اشاروا له عليه .

وعندما اراد الكاتب ان يحتل مقعده قال له مسيو دوسان :

ـ بعد قليل . سادعوك عندما يصبح الاستجواب رسميا . هل انت موافق يا استاذ ليوتار ؟

ـ تماما واشكرك .

وبقى ميجريه واقفا امام النافذة التى راحت قطرات المطر تنحدر عليها . كان الجو مكفهرا والسماء ملبدة .

وسعل القاضى مرة اخرى او مرتين ثم قال مترددا : اظن ياستوفيل ان القوميسير يريد ان يلقى عليك بعض الاسئلة .

واضطر ميجريه ، وكان قد شعل غليونه ان يلتفت وهو يحاول ان يغالب ابتسامة مرحة . وبدا يقول وهو واقف مكانه كما لو كان يلقى درسا :

ـ اظن ان محاميك اطلعك على حقيقة الموقف فى بضع كلمات . اننا نعرف نشاطك ونشاط اخيك ، ومن المحتمل انه ليس لدينا ما نلومك عليه غير ذلك فيما يخصك انت .

والواقع ان البذلة التى عليها بقع الدم ليست بذلتك انت وانما بذلة اخيك ، وقد تركها لديك .

ـ ولكن اخى لم يقتل هو الآخر .

ـ هذا جائز . هل تريد ان استجوبك ام تفضل ان تذكر لنا ما تعرفه ؟

لم يكن لديه الآن حليف فى شخص الاستاذ ليوتار فحسب ، فقد

شجعت فرناند فرانز بنظرة لكى يتكلم .

ـ سلنى ، وسارى ان كان فى استطاعتى ان اجيب .

ومسح زجاج نظارته ، وانتظر وقد احنى كتفيه وامال راسه الى الامام كما لو كانت قد ثقلت عليه .

ـ متى عرفت ان الكونتيسة بانيتى قتلت ؟

ـ فى مساء يوم السبت .

ـ هل تعنى مساء اليوم الذى اقبل فيه موس وليفين وشخص ثالث لا ريب انه كرينكر الى محلك ؟

ـ نعم .

ـ وهل انت الذى بعثت تلك البرقية لاقصاء زوجتك ؟

ـ بل اننى لم اكن على علم بها .

كان هذا معقولا ، فان الفريد موس كان يعرف عادات البيت بما فيه الكفاية كما كان يعرف كل ما يمت بصلة الى حياة الزوجين .

ـ بحيث انك كنت تجهل كل شىء عندما طرقوا بابك فى نحو الساعة التاسعة ؟

ـ بل اننى لم اشأ ان ادعهم يدخلون .. كنت اقرا فى القبو فى هدوء .

ـ وماذا قال لك اخوك ؟

ـ ان احد زملائه بحاجة الى جواز سفر فى نفس الليلة وانه جاء معه بالادوات اللازمة لكى اقوم بالعمل على الفور .

ـ هل كانت هذه اول مرة يصطحب معه بعض الاغراب .

ـ كان يعرف اننى لا اريد ان ارى احدا .

ـ ولكنك كنت تعرف ان له شركاء ؟

ـ كان قد قال لى انه يعمل مع رجل يدعى شوارتز .

ـ ذلك الذى كان يقيم فى شارع ليبيك وينتحل اسم ليفين ؟ .. رجل اسمر بدين ؟

ـ نعم .

ـ وهل هبطتم جميعا الى القبو ؟

ـ نعم ، فلم اكن استطيع العمل فى الورشة فى مثل تلك الساعة لان الجيران سيستفربون .

ـ حدثنى الآن عن الرجل الثالث .

ـ انني لا اعرفه .

ـ هل كان يتكلم بلهجة اجنبية ؟

ـ نعم . كان هنغاريا ، وكان يبدو متلهفا على الرحيل ويصر على ان يعرف اذا لم يكن سيواجه اية مشاكل فيما يتعلق بالجواز .

ـ لأى بلد ؟

ـ الولايات المتحدة ، فهى أصعب من غيرها فى التزييف بسبب بعض العلامات الخاصة المتفق عليها بين القنصليات ومكاتب الهجرة .

ـ وهل قمت بالعمل ؟

ـ لم اجد الوقت لذلك .

ـ ماذا حدث ؟

ـ كان شوارتز يفحص المكان كما لو كان يتأكد ان احدا لا يمكن ان يفاجئنا ، وبغتة ، وبينما كنت أوليهم ظهرى وانحنى فوق الحقيبة الموضوعة فوق مقعد سمعت طلقة ورأيت الهنغارى يقع .

ـ اهو شوارتز الذى أطلق النار ؟

ـ نعم .

ـ وهل بدا اخوك مشدوها ؟

لحظة تردد ثم قال : نعم .

ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ قال لنا شوارتز ان هذا هو الحل الوحيد وانه لا حيلة له فى ذلك ، فمن رايه ان كرينكر كان مشدود الاعصاب وكان جديرا بأن ينكشف امره ، واذا ما حدث ذلك تكلم . واردف يقول : « اننى اخطأت اذ حسبته رجلا » . ثم سألنى أين المرمد .

ـ هل كان يعرف ان لديك مرمدا ؟

ـ اظن ذلك .

عن طريق موس طبعا ، كان ذلك واضحا . كما كان من الواضح ان فرانز لا يريد أن يدين اخاه .

ـ وقد امر الفريد باشعال النار وطلب منى ان آتيه بأدوات حادة وهو يقول : اننا جميعا فى نفس المأزق يا رفاق . ولو اننى لم اقتل هذا الغبى لقبض علينا البوليس قبل أسبوع . لم يره احد معنا ولا احد يعرف انه هنا ولا اهل له نكى يبحثوا عنه . واذا اختفى فسوف نعيش فى هدوء .

ولم تكن اللحظة مناسبة لسؤال المجلد اذا كان كل منهم قد اشترك فى التقطيع .

ـ هل حدثك عن موت المراة العجوز ؟

ـ نعم .

ـ هل كانت هذه اول مرة تراه فيها ؟

ـ لم أر احدا منهم بعد ان استقلوا السيارة راحلين .

واصبح اكثر تحفظا فى حين ظلت عينا فرناند تنتقل ما بين زوجها وميجريه .

ـ تكلم يافرانز . انهم هم الذين زجوا بك فى هذه الورطة وهربوا ، ولا فائدة لك فى التزام الصمت .

وأردف الاستاذ ليوتار يقول : بصفتى محاميك ، أستطيع ان اقول لك ان من واجبك ان تتكلم ومن مصلحتك ايضا . واظن ان العدالة سوف تقيم وزنا لصراحتك .

نظر فرانز اليه بعينين مرتبكتين وهز كتفيه قليلا ثم قال :

ـ انهم قضوا عندى فترة من الليل ، وكانت فترة طويلة جدا .

وكان مع شوارتز او ليفين ، ولا اهمية للاسم ، زجاجة من الخمر فى جيبه ، وقد شرب اخى كثيرا .

وقد قال له شوارتز غاضبا فى احدى اللحظات : هذه هى المرة الثانية التى تقوم فيها معى بهذا الدور .

وروى لى الفريد عندئذ قصة المراة العجوز .

سأله ميجريه : وماذا تعرف بالضبط عن شوارتز ؟

ـ انه هو الرجل الذى يعمل اخى معه .. كان قد حدثنى عنه كثيرا ، وكان يرى انه رجل قوى وشديد الخطر ، وله طفل من امرأة جميلة .. ايطالية ، تعيش معه أغلب الوقت .

ـ اهى جلوريا ؟

ـ نعم . وكان شوارتز يزاول نشاطه فى الفنادق ، وقد وقع على على سيدة ثرية جدا وغريبة الاطوار ، كان يرجو ان يحصل منها على الكثير ، وقد الحق جلوريا بخدمتها .

ـ وكرينكر ؟

ـ لم أره الا ميتا . اذا جاز لى هذا القول لان الرصاصة اطلقت عليه ولما يقض عندى غير لحظات وجيزة . ومع التفكير ، ارى ان هناك اشياء لم افهمها الا فيما بعد .

ـ مثال ؟

ـ ان شوارتز اعد خطته بكل دقة . كان يريد اخفاء كرينكر ، وقد اهتدى الى هذه الطريقة للتخلص منه دون أن يجازف بأى خطر . كان يعرف وهو قادم ما سوف يقع ، وارسل جلوريا الى كونكارنو لكى تبعث بالبرقية الى فرناند .

ـ والمرأة العجوز ؟

ـ انني لم اشترك فى هذه القصة . وكل ما أعرفه هو ان كرينكر حاول بعد طلاقه ان يتقرب اليها ، وتمكن من ذلك فى الايام الاخيرة . وقد اعطته مبالغ صغيرة سرعان ما كانت تذوب لانه كان يعشق حياة الترف . وكان يريد الحصول على مبلغ كبير لكى يمضى الى امريكا .

ـ أكان لا يزال يحب زوجته ؟

ـ لا ادرى . وقد تعرف شوارتز ، أو بوجه اصح ، عرف هذا الاخير بأمره من جلوريا . وخطط لكى يلتقى فى احد البارات ، وتصادقا .

ـ هل ذكروا لك كل هذا ليلة المرمد ومقتل كرينكر ؟

ـ كانت أمامنا ساعات طويلة لكى ...

ـ فهمت .

ـ لم يقولوا لى اذا كانت الفكرة فكرة كرينكر او اذا كان شوارتز هو الذى اقترحها . كان يبدو ان المراة العجوز اعتادت السفر ومعها حقيبة صغيرة تضم ثروة كبيرة من المجوهرات .

وكان ذلك فى الوقت الذى تمضى فيه الى شاطىء الكوت دازور عادة ، وكان على كرينكر ان يقنعها بالرحيل فى سيارته .

وفى الطريق ، فى مكان ما ، اطلق شوارتز النار ، وأظن انه فعل ذلك عامدا ، لكى يرغم الاثنين الآخرين على البقاء تحت رحمته .

ـ بما فيهما اخوك ؟

ـ نعم .

ـ وقد وقع الهجوم فى طريق فونتنبلو ، ومضى بعد ذلك الى لاينى، وتخلصوا من السيارة ، وكان شوارتز قد اقام فى وقت من الاوقات فى هذه القرية ، وكان يعرف المكان جيدا ، ماذا تريد أن تعرف غير ذلك ؟

ـ اين المجوهرات ؟

ـ انهم عثروا على الحقيبة الصغيرة ، ولكنها كانت فارغة . ولا ريب ان الكونتيسة كانت تشك فى الامر . ولم تعرف جلوريا ، وكانت ترافقها ، عن المجوهرات شيئا هى الاخرى . ولعلها أودعتها أحد البنوك .

ـ وعندئذ استولى الرعب على كرينكر ؟

ـ اراد ان يجتاز الحدود على الفور ببطاقته الحقيقية ولكن شوارتز قال له انهم سوف يقبضون عليك . ولم يعرف النوم بعد ذلك وافرط فى الشراب ، وتملكه الذعر . ورأى شوارتز ان الطريقة الوحيدة للنجاة والاطمئنان هى التخلص منه ، فجاء به الى بحجة ان يزوده بجواز سفر مزيف .

ـ وكيف حدث ان بذلة اخيك ؟ ..

ـ تعثر الفريد لحظة ما فى نفس المكان الذى ...

ـ واعطيته عندئذ بذلتك الزرقاء واحتفظت ببذلته ، ونظفتها فى اليوم التالى ؟

ولا ريب ان فرناند أمتلأ ذهنها بصورة دامية لانها راحت تنظر الى زوجها كما لو كانت تراه لاول مرة ، محاولة ان تتصوره اثناء الايام والليالى التى قضاها بعد ذلك وحده فى القبو وفى الورشة .

ورآها ميجربه ترتعش . ولكنها لم تلبث ان بسطت يدها والقتها فوق يد المجلد الضخمة وتمتمت تقول وهى تحاول ان تبتسم :

ـ أرجو أن يكون بالسجن ورشة لتجليد الكتب .

***

وكان بوليس ثلاث دول يجدون فى البحث عن ليفين ، ولم يكن يدعى شوارتز ولا ليفين وانما سركيستان . وقد القوا القبض عليه بعد شهر من ذلك ، فى قرية صغيرة فى ضواحى اورليان ، حيث كان يقضى وقته فى صيد السمك بالصنارة .

وعثروا على جلوريا بعد يومين آخرين ، فى احد بيوت الدعارة بأورليان . ورفضت أن تبوح باسم القوم الذين عهدت بابنها لهم .

اما الفريد موس فقد بقيت أوصافه فى نشرات البوليس لمدة اربع سنوات .

وفى احدى الليالى شنق بهلوان فى حالة يرثى لها نفسه فى سيرك متنقل بين الارياف ، فى شمال فرنسا . وعرف الشرطة شخصيته عندما فحصوا أوراقه التى وجدوها فى حقيبته .

اما مجوهرات الكونتيسة بانيتى فانها لم تغادر فندق كلاريدج أبدا . فقد عثروا عليها فى حقيبة بمخزن الفندق . ولم يعترف اسكافى تورين أبدا ، حتى وهو مخمور ، بأنه هو الذى كتب الرسالة المجهولة .

« تمت »

٣٠ قرشا

هـذه الروايـة

اشتهر القوميسير «ميجريه» رئيس قسم المباحث بقدرته الفائقه على كشف اخطر الجرائم واعتى المجرمين .. ولكنه احتار امام هذه البرقيـــة الغامضة التى تفيد « بأن هناك جريمة قتل قد تمت فى محل المجلد « فرانز ستوفيل » .

وفى صباح احد الايام جلست مدام ميجريه فى حديقة صغيرة امام عيادة طبيب الاسنان فى انتظار دورها . ولم تكن تعرف ان صاحبة القبعة البيضـــاء والتى تعرفت عليها فى الحديقة هى من ضمن مجموعة المجرمين التى يبحث عنهم زوجها .

هكذا شاءت الصـــدفة ان تساعد مدام ميجريه زوجها فى اكتشاف جريمة قتل اهتزت لها فرنسا ..